حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

آداب الضيافة في الشعر العربي القديم

د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الحولية الثالثة عشر

الرسالة السادسة والثمانون

١٤١[illegible] - ١٤١[illegible] هـ

١٩٩[illegible] - ١٩٩٣ م

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعني بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية الثالثة عشر الرسالة السادسة والثمانون
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

قواعد النشر في

حوليات كلية الآداب

١ ـ حوليات كلية الآداب دورية علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات التي تدخل في مجالات اختصاص الأقسام العلمية بكلية الآداب.

٢ ـ تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصيلة باللغتين العربية والإنجليزية ويراعى الا يتجاوز عدد صفحات أي بحث ١٣٠ صفحة ولا يقل عن ٤٠ صفحة.

٣ ـ تقدم البحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة على مسافتين من ثلاث نسخ على ورق مقاس ٢١ × ٢٩ سم (A 4) وعلى وجه واحد فقط وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية، وينبغي مراعاة التصحيح الدقيق للطباعة على الآلة الكاتبة في جميع النسخ.

٤ ـ يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والانجليزية في حدود ٢٠٠ (مائتي) كلمة تتصدر البحث.

٥ ـ ترسم الخرائط والأشكال والرسوم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» حتى تكون صالحة للطباعة. أما الصور الفوتوغرافية فيراعى أن تكون مطبوعة على ورق لماع، وإذا كانت ملونة فلابد من تقديم الشريحة الأصلية.

٦ ـ يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية، وكذلك الألفاظ والعبارات التي يراد طبعها ببنط ثقيل.

٧ ـ تكتب في قائمة المصادر كل التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ بالكنية أو الاسم الاخير، وعنوان المصنف تحت خط متعرج وذكر الأجزاء أو المجلدات واسم المحقق أو المترجم ورقم الطبعة، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر ثم سنة النشر ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي:

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

ـ تاريخ المرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٣، مصر دار المعارف، د.ت.

ـ جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر، ط٢، دار المعارف بمصر. د.ت.

ـ الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٨ ـ تثبت الهوامش على النحو التالي:

يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف ثم يليه الجزء ثم رقم الصفحة، ويتبع في الحواشي النظام الآتي:

ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٩١.

ـ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص١٢٠.

ـ الشايب، ص٤٠.

٩ ـ توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) وهكذا.

١٠ ـ أصول البحوث التي تصل للحوليات لا ترد ولا تسترجع سواء نشرت أو لم تنشر.

١١ ـ لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحوليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحوليات.

١٢ ـ عند طباعة البحث المقبول للنشر على المؤلف أن يقوم بمراجعة تجربة الطبع الأخيرة بمطابقتها على الأصل، مع مراعاة عدم إجراء أي تغييرات فيها تختلف عما ورد في الأصل، سواء بالإضافة أو الحذف.

١٣ ـ تمنح إدارة الحوليات لمؤلف كل بحث منشور ثلاثين نسخة مجانية من بحثه.

١٤ ـ ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيسة تحرير حوليات كلية الآداب

كلية الآداب ـ جامعة الكويت

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

الرسالة السادسة والثمانون

آداب الضيافة في الشعر العربي القديم

د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

حوليات كلية الآداب - الحولية الثالثة عشر - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المؤلف

د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

استاذ مشارك بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود

أهم مؤلفاته :

- كتاب «الفصحى ونظرية الفكر العامي» الطبعة الأولى مطابع الفرزدق ١٤٠٧هـ ـ الطبعة الثانية مطابع الفرزدق ١٤٠٨هـ .
- «الفيور والصبور» الطبعة الأولى مطابع الدرعية ١٤١٠هـ نشر الجمعية السعودية .
- «الأدب العامي ومحاور الاهتمام به» مجلة الدارة ـ العدد الثاني ـ السنة الثانية عشرة ـ محرم ١٤٠٧هـ، سبتمبر ١٩٨٦م .
- «التسامح في الغيرة في شعر مسكين الدرامي» مجلة الدارة ـ العدد الثالث ـ السنة الثالثة عشرة ـ ربيع الأخر ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م .
- «عقيل بن علفة المري، حياته، شعره» كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها ـ الجزء الاول ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- «الشعر العامي ونتائج الاهتمام به» ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود .
- «الجارة في الشعر العربي القديم» ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود .

محتوى البحث

ملخص

هذا البحث يحاول دراسة رؤية العرب للضيافة، ويتحدث عن حقوق الضيف وواجبات القرى، كما وصفها الشعراء، إذ أصبحت من الثوابت في تقاليدهم العربية وموروثاتهم، واتخذت شاهداً على أهمية الضيافة عندهم، إذ يقدمون للضيف الطعام والشراب والمأوى.

وقد حاول البحث تتبع لغة الشعراء عندما يصفون قسوة الطبيعة وحاجة المسافر إلى وجبة الطعام فلا يجدها حتى يجد الكريم المضياف الذي يهب فرحاً بمقدمه، فيسدّ حاجته وينشط لقراه، ثم يأخذ بعد ذلك في وصف ما قدّم من عون للضيف الغريب، مما يشهد بتأصل هذه العادة عند العرب.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تبين تطور الضيافة وواجبات القرى، واعتمدت الشعر الذي يصف واقع الحال، فأوردت منه ما يحتاج إليه البحث، ويشهد على ما تذهب إليه الدراسة من رأي.

تمهيد

ليس أظهر في شعر العرب من الكرم والفخر به وتأكيده في أقوالهم وأفعالهم وفي مناقبهم ومحامد أجوادهم، وهو - أي الكرم - اسم جامع لصفات الإنفاق المشروع والبذل للمال في سبل تعتز العرب بها، وتفاخر بفعلها، وتدّعي أن لها فيها القدح المعلى، فجاءت شعب الكرم عندهم متعددة ومتشابكة مع شؤون الحياة في الوقت نفسه. فإذا ذكر الكرم جاء معه إلى الخاطر ذكر الجود والسخاء والسماحة والفضل والضيافة، وكلها مما له علاقة بالعطاء وإذهاب المال فيما يعود على المرء بالذكر الحسن والثناء الجميل. وقد كان كل اسم من الأسماء أو الصفات السابقة ذا دلالة محددة عند العرب وله معنى معروف في عاداتهم الاجتماعية وفي آثارهم الأدبية ومفاخر أعمالهم، يدل كل منها دلالة خاصة مميزة ذات مفهوم اجتماعي له قوانين لا يخل بها أحد من المجتمع إلا نال أقسى عقاب معنوي رادع. كما يكون للكرم شمول واسع ومدلول فضفاض المعنى غير دقيق في تحديد خطوات الاستعمال، فالجود هو أعلى مراتب الفضل عندهم وهو أحد المرادفات لمعنى الكرم يأخذ في لغتهم معنى البذل والعطاء كما جاء في قواميس اللغة مثل قولهم: «جدت له بالمال جوداً، وجاد الرجل بماله يجود جوداً» وأجواد العرب مذكورون، فأجواد أهل الكوفة هم: عِكرمة بن رِبْعِيّ وأسماء بن خارجة، وعَتّاب بن ورقاء الرياحي، وأجواد أهل البصرة: عبد الله بن أبي بكرة ويكنى أبا حاتم، وعمر بن عبد الله بن مَعْمَر التيمي، وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي، وهؤلاء أجود من أجواد أهل الكوفة. وأجواد أهل الحجاز: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما أجود من أجواد أهل البصرة.

فهؤلاء الأجواد المشهورون. وأجواد الناس بعد ذلك كثير[1]. وأورد ابن عبد ربه في العقد الفريد اسماء من انتهى إليهم الجود في الجاهلية والإسلام، وهم ثلاثة نفر في الجاهلية، حاتم بن عبد الله الطائي، هرم بن سنان المري ممدوح زهير بن أبي سلمى وكعب بن مامة الإيادي. أما

(١) انظر لسان العرب مادة «جود».

أهل الإسلام فهم عنده أحد عشر جواداً عاشوا كلهم في عصر واحد ويزعم ابن عبد ربه أنه لم يكن قبلهم ولا بعدهم(٢) مثلهم. وهم: من أهل الحجاز: عبيد الله بن العباس، عبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص، ومن أهل البصرة خمسة نفر هم: عبد الله بن عامر بن كريز وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه سلم، ومسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي، طلحة الطلحات وهو طلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي، ومن أهل الكوفة، عتاب بن ورقاء الرياحي، وأسامة بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربعي الفياض(٣). ولكن الذين تكلموا عن الجود والأجواد وذكروهم وأثنوا عليهم لم يحددوا ضوابط للجود ولا أشار أحد منهم إلى الحدِّ الذي يسمى الإنسان عنده جواداً ولكن يفهم أن الجود عند العرب هو البذل والعطاء وليس له حد ينتهي إليه بل يستمر متسامياً حتى الفناء للمال والهلاك للنفس بعد المال ولذا وصفوا كعب بن مامة بأنه أجود والأجواد وقد قال الشاعر فيه(٤):

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إنْ ضَنَّ البَخِيْلُ بِهَا
وَالجُوْدُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ

وجاء وصف السخاء مرادفاً للجود، يوصف به الرجل والمرأة والمفرد والجمع فيقال سخي وجواد وكريم. ويأتي وصف الفضل مثل ذلك فيقال، فَضُلَ يفضل وهو فاضل، ورجل مفضال كثير الفضل، والفواضل الأيادي الجميلة. . . . قال الشاعر(٥):

سَأَبْغِيْكَ مَالاً بِالمَدِيْنَةِ، إنَّنِيْ
أَرَى عَازِبَ الأمْوَالِ قَلَّتْ فَضَائِلُهُ

وتأتي السماحة صفة أخرى من الصفات الطيبة متقدمة على وصف الجود والكرم، فيها شفافية النفس المعطاء التي تنطلق بالمد وتنشط للهبة وتجد لذة الحياة في الإنفاق، فسموا المرء الذي

(٢) يفهم بالضرورة أن المؤلف يعني بقبلهم «ولا بعدهم» أي حتى عصر المؤلف.

(٣) العقد الفريد، جـ ١ ص ٢٩٣.

(٤) انظر لسان العرب مادة «فضل».

(٥) كان كعب قد آثر رفيقه بشربة ماء تحمل الظمأ حتى هلك ونجا رفيقه بسبب إيثاره إياه بحظه من الماء.

تغلبه سجيته إلى الإنفاق والبذل سمحاً وفعله سماحة، ومن ذلك قول جرير بن الخَطَفى يمدح الوليد(٦):

غَلَبَ المَسَامِيْحَ الوَلِيْدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاَتِ وَسَادَهَا

ومنه قول الشاعر في وصف السماحة:

فِي فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِ مَسَامِحٍ
عِنْدَ الفِضَالِ نَدِيْمُهُم لَمْ يَدْثُرِ

ومثله قول ابن مقبل:

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيْ وَفِي الحَقِ مَسْمَحٌ
إِذَا جَاءَ بَاغِيْ العُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرَا

هذه الصفات وغيرها عن الكرم وفرعه استعملها العرب وحددت اللغة معاني مفرداتها وتجلى مدلولها في أذهانهم وهي تعني الإنفاق للأموال وإعطاء الناس ما ينتفعون به. وقد بلغ العرب في احترام صفات الكرم مبلغاً عظيماً لأنها بذل تطوعي يقوم به الكريم رغبة في كسب الحمد والثناء والذكر الحسن، لكن ما يحاول هذا البحث تتبعه في الإرث العربي المفهوم الثقافي هو شيء آخر غير ما تقدم ذكره من خصال الكرم، إنه القِرَى والضيافة، لأنه الموضوع المميز في العقل العربي، وهو أكثر صفات الكرم التصاقاً بحياة عرب الجزيرة، وقد جعلوه مدار فخرهم ومنطلق شعرهم، فذكروه كلما ذكروا الحياة وكلما ذكروا العادات الجيدة الموروثة المكتسبة. وهو وإن كان ينطوي تحت الخصال التي ذكرت آنفاً فإنه يختلف عنها كل الاختلاف، فالضيافة وإقراء الضيف ألصق كل تلك الخلال وأقرب قبولاً لدى سكان الصحراء لما تتصف به حياة ساكنيها من شظف فتضطرهم طبيعتها إلى الإنتقال الطارىء والرحلة التي لا يستطيع المسافر تحديد أمد لها ولا يتوقع لها نهاية،

(٦) انظر لسان العرب مادة «سمح».

فقد يخرج في طلب الضالة وهو لا يظن أن ذلك يأخذ منه بعض اليوم لكن الضالة تبتعد كثيراً ويسير هو في طلبها وقد تكون ذهبت إلى غير الوجه الذي يريد، وطبيعة طلب الضالة وانتقالها واتساع فجاج الجزيرة أمامها تجعل إدراكها صعباً فيتبع آثارها في رحلة لا يعرف نهايتها وقد لا يكون أعدَّ لها زاداً ولا مؤنة فيحتاج أثناء رحلته إلى الطعام وإلا هلك.

وقد يزمع المرء الرحلة إلى حي لا يبعد مكانه أكثر من مسافة اليوم أو اليومين لكن الحي قد ينتقل من أرضه وينتجع أرضاً أخرى تفصلها المسافات البعيدة فيتبعه ويسير وراءه ليالي وأياماً حتى ينفذ زاده وتنبتّ راحلته ويشفي على الهلاك إلا أن يجد في طريقه من يعينه على استمرار الرحلة ويساعده على مواصلة المسير. وطبيعة الجزيرة هي الأخرى عامل من عوامل المهالك يتعرض المسافرون فيها للعوز والحاجة إلى قوت اليوم وما يقيم صلب الجائع لساعات معدودة. وقد تنوب الرحلة الطارئة الرجل منهم فلا يجد ما يأخذ معه من متاع، وقد يكون الجوع هو سبب خروجه[7] وسفره وانتقاله فلا يجد الزاد الذي يحمله معه أثناء رحلته فيضطر لطلب القِرَى والبحث عن طعام السفر وإلا هلك. وقد وجد في العرب أفراد معدودون سموا بأزواد الركب[8] لأنهم يكفون المسافرين مؤنة السفر ويضمنون لهم معاش الطريق وجهد الرحلة، ولمشقة القيام بهذا العبء لم تذكر المصادر العربية من فعل ذلك إلا ثلاثة نفر أو أربعة كما جاء في بعض الروايات عرفوا بهذا الاسم واشتهر كل منهم بزاد الركب لما يقدم من إطعام للذين يصحبونه في رحلته. وهم مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة[9] بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي، وأبو أمية بن المغيرة[10] بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، والأسود بن المطلب بن أسد بن

---

(٧) انظر حديث أبي هريرة: أن رجلاً دخل على أهله فرأى ما بهم من حاجة فخرج إلى البرية. «إكرام الضيف ص ٥٤».

(٨) المنمق في أخبار قريش، ص ٣٦٨.

(٩) وقد أصبح ابن زمعة، أبو عبيدة عبد الله بن زمعة مشهوراً بالكرم والجود معروفاً بذلك، انظر عنه وعن قصص كرمه وجوده، معجم ما استعجم للبكري جـ ٣ ص ٨٧٩.

(١٠) ثمار القلوب، ص ١٠٣ ومجمع الأمثال جـ ٢ ص ١٢٧.

عبد العزى بن قصي[١١]. وإذا كانت حاجة العرب للضيافة تبلغ هذا الحد فسيكون شأن الجواد المضياف عظيماً وأمره محموداً وذكره عطراً في الأذهان.

وقد جاءت لغة العرب فخمة مملوءة بمفردات الضيف والضيافة والقِرى حشدت المعاني الكثيرة وفرعت الدلالة واتسعت أمام الضيف والضيافة فجاء في القاموس[١٢]: ضفت الرجل ضيافة وتضيَّفته نزلت به ضيفاً وملت إليه وقيل نزلت به وصرت له ضيفاً وضفته وتضيفته طلبت منه الضيافة ومن ذلك قول الفرزدق:

وَجَـدْتُ الـثَّرَى فِـيْـنَـا إِذَا الْـتُـمِسَ الـثَّرَى
وَمَـنْ هُـو يَـرْجُـو فَـضْـلَهُ الْمُـتَـضَـيِّـفُ

وقال ابن بري: وشاهد ضفت الرجل قول القطامي[١٣]:

تَحَـيَّـزَ عَـنِّي خَـشْـيَـةً أَنْ أَضَـيْـفَـهَـا كَـما انْـحَـازَتِ الأَفْعَىٰ مَخَـافَـةَ ضَـارِبِ

إذ إنها تنتحي عنه وتتأخر خوفاً أن ينزل عليها ضيفاً. وفي حديث عائشة: ضافها ضيف فأمرت له بملحفة صفراء، وفي حديث الهندي. تضيفت أبا هريرة سبعاً، وأضفته وضيفته: أنزلته عليك ضيفاً وأملته إليك وقربته لذلك قيل هو مضاف إلى كذا أي ممال إليه، ويقال أضاف فلان فلاناً فهو يضيفه إضافة إذا ألجأه. وفي التنزيل: فأبوا أن يضيفوهما. وأنشد ثعلب لأسماء بن خارجة الفزاري يصف الذئب:

رَأَيْـتُ حَـقـاً أَنْ أُضَـيِّـفَـهُ إِذْ رَامَ سِـلْمِـي وَاتَّـقَـىٰ حَـرْبِي

---

(١١) ذكر ابن حبيب في المنمق أنهم: الأسود ومسافر وأبو أمية وزمعة. وفي مجمع الأمثال للميداني هم: مسافر وأبو أمية والأسود وفي ثمار القلوب للنيسابوري هم مسافر وزمعة وأبو أمية.

(١٢) انظر لسان العرب مادة «ضيف».

(١٣) نص البيت في الديوان كالتالي:

فـردت سـلامـاً كـارهـاً ثـم أعـرضـت كـما انـحـازت الأفـعـى مخـافـة ضـارب

ص ٤٥.

استعار له التضييف إنما يريد أنه أمّنه وحاطه. قال شمر سمعت رجاء بن سلمة الكوفي يقول: ضيفته إذا أطعمته، قال: والتضييف الإطعام . . . وتضيفته سألته أن يضيفني وأتيته ضيفاً قال الأعشى:

تَضَيَّفْتُهُ يَوْماً فَأَكْرَمَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِداً

وقال الفرزدق:

وَمِنَّا خَطِيْبٌ لا يُعَابُ وَقَائِلٌ وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ

وضيفته أنزلته منزلة الأضياف . . . وفي التنزيل: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، وفيه هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. وقال الشاعر:

إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ كَانَ عُذَوَّراً عَلى الحَيِّ حتى تَسْتَقِلَ مَرَاجِلُه

هذا بعض ما جاء من مادة الضيف في قاموس اللغة العربية وهي مادة تدل على السعة والانتشار والتشعب. وللسعة في استعمال العرب معناها ودلالتها عندهم عندما ترتبط بعادات وأعراف اجتماعية أصبحت علامات ذات قيم معنوية تحترم ويحافظ عليها وتلتزم العرب بآدابها وقوانين العلاقات الناشئة عنها، ولو لم يكن لها من رابط العلاقة إلا ما جاء في القرآن الكريم لكان ذلك كافياً فقد جاء فيه ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ﴾(١٤). وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ الْمُكْرَمِينْ﴾(١٥). وجاء على لسان لوط: فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد(١٦). وقال في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾(١٧). وقد جاءت آيات القرآن التي أشارت إلى الضيف أو تحدثت عنه بوصف التوقير والاحترام له والإطعام

(١٤) الحجر الآية ٥١.

(١٥) الذاريات الآية ٢٤.

(١٦) هود الآية ٧٨.

(١٧) الحجر الآية ٦٨.

والحماية، وهو ما كانت العرب تعرفه وتأخذ به وتلتزم بآدابه التزاماً مباشراً مؤكداً الاتفاق عندهم على وجوب إكرام الضيف النازل وهو في الآيات كلها التي جاءت في القرآن يوصف بأنه يأتي نكرة غريباً غير معروف عند من أتى إليهم، ففي سورة الكهف: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرَاً﴾(١٨). فموسى وصاحبه جاءا نكرتين غريبين على أهل القرية غير معروفين عندهم. وفي سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾(١٩). فالقادمون إليه كانوا غرباء عنه مجهولين منه تبعث غرابتهم الخوف في نفسه والقلق فقام بواجب الضيافة كما تصفه الآية التاسعة والستون من سورة هود ﴿قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾(٢٠). فلم يتريث بقرى الضيف ولكنه عجل به كعادة العرب بتعجيل قرى الأضياف وإكرامهم بالطعام وأطايب الموجود حتى لو كانوا غرباء لا يعرفونهم ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾(٢١).

وكذلك كان ضيوف لوط عليه السلام أتوه منكرين لا يعرفهم فقدم لهم الحماية وحاول أن يقيهم السوء ببناته وتوسل إلى قومه ألا يخزوه في ضيفه ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. واتقوا الله ولا تخزون. قالوا أولم ننهك عن العالمين. قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾(٢٢) كل ذلك القلق العظيم والخوف الحاد والتوسل الذي أظهر به كربته وأبان عن مصيبته في عصيان قومه وحرمة أضيافه من أجل الضيف قبل أن يخبروه بحقيقة أمرهم ويقولوا له القول الفصل ﴿يا لوط إنا رسل ربك...﴾ الآية(٢٣).

---

(١٨) الكهف الآية ٧٧.

(١٩) الحجر الآية ٥١ - ٥٢.

(٢٠) سورة هود الآية ٦٩.

(٢١) سورة هود الآية ٧٠.

(٢٢) سورة الحجر الآية ٦٨ - ٧٠.

(٢٣) سورة هود الآية ٨١.

ففي كل ما تقدم من آيات القرآن وقصص الأولين يأتي الضيف طارئاً على رب المنزل لا يعرفه ولا تربطه به رابطة ولا قرابة ولا نسب فيسرع في إطعامه محتفياً به متخفياً عنه متلطفاً كما في قوله تعالى في وصف نبيه إبراهيم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ وفي معنى ذلك يقول المفسرون إنه انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد(٢٤). وهي عادة عربية لا زالت حتى يومنا هذا عند الناس إذ يحاول صاحب المنزل ألاّ يرى الضيف ما يقدم له من قرى أو ما يقوم به المضيف من تهيئة لطعام الضيف، فيسارع خفية إلى ما لديه فيأتي به وكلما كان الطعام المعد للضيف سريعاً كان ذلك أظهر للكرم وألطف على الضيف الذي لا يود أن يثقل كاهل مضيفه بما يقدم له من طعام كما يدل على سرور المضيف وأنه غير متباطيء ولا مستثقل لقرى أضيافه ولا متكلف فيما يفعل. وقد جعل المفسرون الآيات التي ذكرت الضيف وإكرامه وتقدمت به إلى عهد إبراهيم حجة تدل على أن الكرم والضيافة عادة منذ القدم وأن الضيف الكريم صفة خاصة لضيف إبراهيم أخذاً من قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ المُكْرَمِيْنَ﴾(٢٥). لأن إبراهيم قام على خدمتهم والاعتناء بهم وهو نبي من الأنبياء، كما وصفوا إبراهيم بالكرم وأنه يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أبواب بعدد الاتجاهات الأربعة يدخل الضيف من حيث أتى(٢٦). وانتقال مرجعية الكرم والضيافة العربية إلى أصول سامية بعيدة مغرقة في التاريخ مثل إبراهيم والأنبياء بعده موسى وشعيب دليل على بعد العهد الذي يمكن أن تعود إليه أدبيات الضيافة العربية ودليل على قيام العلاقة القوية الناشئة عنها. وهو أمر متفق مع وعي العادات الاجتماعية العربية في الجزيرة التي وجدت منذ وجد العرب، فصار تكوينهم المعرفي لعادات الضيافة يملأ خيال شعرائهم ويجسم قصص أمجادهم.

ولا يشك بعض الباحثين المحدثين في أن كثيراً من الأخبار قد تطرق إليها الخيال والمبالغة

---

(٢٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص ٤٥.

(٢٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٤٤.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠ ص ٣٥.

فيما يخص الكرم ومنها الضيافة ولكنها في زعمهم على ما فيها من خيال ومبالغة تبقى صورة لأصالة الكرم في نفوسهم وشيوعه بينهم(٢٧). وستحاول هذه الدراسة تجريد البحث من الخيال المغرق والمبالغة التي لا يستطيع العقل تصديقها بسهولة وسيغفل ذكرها ويطرح دلالتها في قصص القصاص وأحاديث الرواة وشعر الشعراء، وسيعمد إلى النص الشعري يستقرؤه وينظر في جمله وكلماته ودلالتها الاجتماعية والمعنوية وحسبه أن يتجاوز مع خيال الشعراء ومبالغاتهم في حدود المقبول من الأعراف الاجتماعية ذات الشمول والاتساع. والنص الشعري في الجاهلية يعد قيمة معرفية تتفق مع طبيعة الفطرة المقبولة التي نما العمل بها سريعاً واتخذت رؤية شمولية لمعاني الكرم ونظمته تنظيماً ملزماً غيّر الواقع الاجتماعي وأثر به تأثيراً مباشراً، فكانت الضيافة أهم قواعد ذلك التنظيم فارتضت العمل بها العرب كافة وقويت قوة تكاد تبلغ حدَّ الإجبار على قبول مسلماتها الاجتماعية، ولا يقوي على الحياة والاستمرار الأبدي إلا العادات الأصيلة التي تستمد أصولها من مكارم الأخلاق الفاضلة ذات القبول المرضي في التكوين الاجتماعي، ولا شك أن الضيافة من هذا النوع فعاشت عمقاً بعيداً في الذاكرة الجماعية والفردية، وعندما جاء المؤثر الأقوى والمحرك الأسمى وهو الإسلام كانت زوج النبي خديجة بنت خويلد تطمئنه ألا يخزيه الله وفيه من خصال المروءة والكرم ما فيه. فتقول له وهو يقص عليها قصته وما يأتيه «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتؤدي الأمانة». تلك خصال تجمع المروءة الحقة والإنسانية الواعية للوظيفة الاجتماعية النافعة وهي خصال زادها العرب رسوخاً وقوة ورعتها أعرافهم وتقاليد حياتهم الخالدة. وبعد الإسلام قوي التمسك بآداب الضيافة أيما قوة وأعطاها الإسلام دفعاً إيجابياً وهيأ لها مكاناً بارزاً في تعاليم الدين فنزل القرآن يذكر الضيف وحقوق الضيافة والقرى ويقص علينا قصص المرسلين الذين عرفوها ورعوها حق رعايتها.

(٢٧) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٣١٠.

ثم جاء الشق الثاني من تعاليم الإسلام وهو السنة فجعلت للضيافة بعداً دينياً وأيّدت ما كانت العرب تؤمن به وتفعله من أجل المدح والفخر والذكر الحسن في الدنيا والتظاهر أمام الأنداد بالجود ومحامد الأخلاق. فتحول ذلك كله إلى عمل يرجى حمده في الدنيا وثوابه في الآخرة فزاد في النفوس توثيقاً وتقديراً. وقنّنَ الإسلام العادات والتقاليد التي تتعلق بآداب الضيافة وحق الضيف وزمنه وما يجب له سنراها فيما يأتي من نصوص الشعر وسنورد منها ما يقوم به الدليل وتقوى به الحجة وأوله الحديث الشريف: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه(٢٨) فقد ربط بين الإيمان الذي لا يقبل عمل المرء بدونه وإكرام الضيف. وأيد مكارم الأخلاق فقال فيما روى مجاهد عن السائب: «يا سائب انظر إلى الأخلاق الجميلة التي كنت تفخر بها في الجاهلية فاصنعها في الإسلام أقر الضيف»(٢٩). وجاء فيما أوصى به بعض أصحابه «أقر الضيف». «ومن لم يكرم الضيف فليس من محمد ولا محمد منه» فأمره صلى الله عليه وسلم متردد بين إقراء الضيف وإكرامه وهو أمر يقتضي الوجوب. وسأل قوم من العرب ابن عباس «قالوا إننا نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحج البيت ونصوم رمضان وإن المهاجرين يزعمون أنا لسنا على شيء فكان جواب ابن عباس لهم «كذبوا. من أقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنة»(٣٠).

فالقوم لم يذكروا في عرضهم لما يفعلون من أركان الإسلام إقراء الضيف ولكن ابن عباس يعيد ما زعموا أنهم يفعلونه ثم يزيد عليه إقراء الضيف. وهذه الزيادة من ابن عباس تتفق مع وظيفة التشريع في بداية الإسلام حين يأخذ المفسرون والوعّاظ وأهل الفتيا بتلقين الناس الخصال المحببة للمسلم وما يرون أن عمله متمم للإسلام وموجب لدخول الجنة، وإضافة ابن عباس لإقراء الضيف وهو ما لم يورده السائلون دليل على محاولة علماء صدر الأمة وعلى رأسهم الصحابة

(٢٨) كتاب إكرام الضيف ص ٢٢.

(٢٩) كتاب إكرام الضيف ص ٤٠.

(٣٠) كتاب إكرام الضيف ص ٤١.

تأصيل هذا العرف الاجتماعي وتعميقه في نفوس الناس وإضفاء الصبغة الإسلامية عليه وإعطائه صورة الالتزام الديني. وقد حثّ الإسلام على الإنفاق في وجوه البر فجاء في بعض الآثار «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(٣١) وكل ذلك يصب في مجرى الإنفاق الشامل ويحث على البذل. وقد حدد قري الضيف زماناً ومكاناً فأصبح حق الضيافة ثلاثة أيام في الإسلام كما جاء في صحيح مسلم والبخاري «حق الضيافة ثلاث فما زاد فهو صدقة»(٣٢). ثم صار المسجد في الإسلام مكاناً لإيواء الضيف وصار أهل المسجد ملزمين بضيف مسجدهم، وهو ما يدل على شمولية الحق ووجوب قيام الجماعة به بينما كان البيت هو المكان الذي يذهب إليه الأضياف لطلب القرى في الجاهلية.

وانتقلت مع العرب عادة القري إلى الأمصار التي حلوا فيها فكان القرى عادة ملزمة ومحترمة عند العرب والعجم واهتموا به أيما اهتمام وبدأوا يفخرون بماضيهم كما ذكر الجاحظ في حديثه عن الضيافة قال: تنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر أعرابي في الضيافة فقال الأعرابي: نحن أقرى للضيف. قال: وكيف ذاك، قال: لأن أحدنا ربما لا يملك إلا البعير فإذا حلَّ به ضيف نحره له، فقال الأعجمي: فنحن أحسن مذهباً في القرى منكم، قال: وما ذاك. قال: نحن نسمي الضيف «مهمان» ومعناه أنه أكبر من في المنزل وأملكنا له»(٣٣). فعم الاهتمام بالضيف حتى في موطن الاستقرار وعند أهل القُرى. وجاء في تعليق بعض المفسرين على قوله تعالى ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية. . .﴾: شر القُرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه(٣٤). وهو أمر لا خلاف فيه بين الباحثين إذ أكد الإسلام وتعاليمه أدب الضيافة وقرر حق الضيف ودعا إلى

---

(٣١) المقتضب ص ٥٣.

(٣٢) إكرام الضيف ص ٥٣.

(٣٣) المحاسن والأضداد، ص ٥٦.

نقل النويري في كتابه صبح الأعشى: أن أول من سنّ للضيف صدر المجلس بهرام جور: أحد ملوك الفرس. صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٣١.

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٦ ص ٢٥.

إكرامه، كما أثر عن أهل المدينة منذ أيام الرسول الأولى فيها أنهم على الرغم من فقرهم وحاجتهم هم وأولادهم للطعام وعدم وجود الكفاف منه، كانوا يؤثرون أضيافهم على أنفسهم وعلى أبنائهم وأهليهم ويحتسبون ذلك قربة وتعبداً ويحرصون عليه(٣٥) حتى كان أهل البيت منهم يطفئون السراج ويوهمون الضيف بمشاركته الأكل بينما هو في الحقيقة يأكل وحده حتى يشبع ويبيتون جياعاً. وقد وردت في هذا الشأن أحاديث كثيرة جمعها أبو إسحاق الحربي في كتابه إكرام الضيف وأوردها غيره من أهل الصحاح والمسانيد والسنن ومنها حديث: إذا حلف أحدكم على يمين ورأى خيراً منها... » الحديث، وحديث «بل أنت أبرهم وأخيرهم» وسبب نزول الآية ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ ومناسبته متعلقة بإكرام الضيف والاهتمام به على شح وفقر وحاجة. ونقل أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة قول مالك: كل بيت لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة»(٣٦). وكانوا يعيبون من يأكل وحده. وقالوا: ما أكل ابن عمر وحده قط، وقالوا: ما أكل الحسن وحده قط(٣٧) وشاهد هذا من الشعر قول قيس بن عاصم المنقري(٣٨):

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِيْ لَهُ
أَكِيْلًا فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

(٣٥) كتاب إكرام الضيف ص ٥٢.
(٣٦) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢، ص ٦٨.
(٣٧) البخلاء ص ١٦٢.
(٣٨) الكامل جـ ٢ ص ٧٠٩.

مآدب العـرب

على الرغم من أن جزيرة العرب أرض غير ذات زرع وهي صحراء يغلب على حياة سكانها الترحل والانتقال وطبيعتها قاسية ومناخها صحراوي قليل الخصوبة، فإن لأهلها آداباً في الطعام وأعرافاً وتقاليد يلتزمونها في كثير من أحوالهم، بل لعل لهم من أشكال المآدب وضروب الدعوات ما ليس لغيرهم من الشعوب. وكأنهم بتعدد مناسبات الإطعام واهتبال الفرصة لتقديم الطعام يعوضون قسوة الطبيعة وظواهر الحرمان وشظف الصحراء فيهتبلون مناسبات للجود والدعوة ويقيمون الأفراح العامة ويتفننون في إتقان الأطعمة والدعوة إليها وإحسانها الأمر الذي لم يكن متوقعاً من أناس يعيشون حياة غير مستقرة لا تساعد على التأني في صنع المناسبات وفي أنواع المأكولات والأطعمة. إلا أن ذلك لم يمنع العرب في الجاهلية وصدر الإسلام من الاعتناء بالطعام. وقد أحصت كتب التراث أكثر من ست عشرة مناسبة تقام فيها الاحتفالات ويطعم فيها الطعام. ومنها: الوليمة وهي الطعام الذي يصنع عند الزواج واقتران الرجل بالمرأة فاعتنوا به وبالغوا في تقديم الطعام للناس في هذه المناسبة، وقد كان يدعى لها الأشراف والوجهاء وأهل الشأن والمكانة الاجتماعية الخاصة، ولهذا نسب للرسول صلى الله عليه وسلم الأثر المشهور: شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها من لا يأتيها ويمنع عنها من يأتيها» وقد أمر الرسول عبد الرحمن بن عوف أن يولم ولو بشاة(٣٩). ومنها المأدبة وهي إعداد الطعام للناس كافة وقد فخروا بذلك وأشادوا بالآدِب الذي لا يخص بدعوته أحداً من الناس دون آخر فقالوا:

نَحْنُ في المَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى ... لاَ تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرْ

وفي الحديث الشريف «القرآن مأدبة الله»(٤٠). ومن المآدب عندهم الدعوة وهي تقديم

---

(٣٩) البخلاء ص ٢١٣.

(٤٠) البخلاء ص ٢١٣.

الطعام للحي والمقيمين فيه بلا استثناء وبدون مناسبة محددة. وقد جعلوا للخطبة أو عقد القران طعاماً يصنع ويدعى إليه، وكانت عندهم الخرس وهو الطعام الذي يصنع للنفساء من النساء خاصة ثم العقيقة وهي الطعام والدعوة إليه عندما يولد الولد، ثم الإعذار أو مأدبة الختان كما يسمى في العصر الحاضر وذلك أن الختان يتأخر حتى يبلغ الفتى الخامسة عشرة أو تزيد، وعندهم طعام الشندخ وهو بمناسبة الزواج وإعلانه وما يبتهج به رب الضالة عند وجودها. والنقيعة وهي ما يصنع للقدوم من السفر ويدعى إليه، وكذلك الاحتفال بالبيت الجديد أو الانتقال إليه ويسمون ذلك الوكيرة. وفرقوا بين حال وحال وفي تقديم الطعام وتسميته فجعلوا التحفة هو الطعام الذي يصنعونه للزائر. وأما الأضياف فطعامهم يسمى القِرَى وهو ما نورد الحديث المسترسل عن أطعمة العرب من أجله. وصنعوا الطعام عند الوفاة وسموا ذلك وضيمة[٤١]. ويهمنا من ذكر تلك المآدب والأطعمه اهتمام العرب بالضيافة والضيف. وأن القرى إحدى مآدبهم ومناسبات حياتهم التي يفخرون بها، فتطور لدى بعضهم قبيل البعثة شعور عميق بمعاناة الضيف فحبسوا الحبس على إطعامه، وجعل الأجواد منهم بعض مالهم وقفاً لأعمال الخير الدائمة ومنها قرى الأضياف فذكر ذلك من مناقبهم، فقد جعل عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم قبته ملاذاً للخائفين والجائعين فلا يدخلها خائف إلا أمن الخوف ولا جائع إلا أطعم[٤٢].

ووضع ربيعة اليشكري نخله وحديقته لابن السبيل وكل مقطوع، فلما كانت حجة الوداع وضع الرسول كل مكرمة في الجاهلية إلا السدانة والسقاية فقام ابن ربيعة بن الأسود فقال: يا رسول الله إن أبي كان وقف نخلاً على أبناء السبيل أفهي مكرمة له فأمضيها؟ فأمره النبي بامضائها فسمي مورث الأضياف وفيه يقول الشاعر:

هَـلُمَّ إلى حُـكّـامِ بَـكْـرِ بْـنِ وَائِـلِ
وَلاتَـكُ مِـثْـلَ الجَـاهِـلِ المُـتَـرَدِّدِ

(٤١) ينظر المفصل جـ ٤ ص ٦٨٥، جـ ٥، ص ١٨.
وكذلك معجمات اللغة عن كل مادة وردت في هذه المناسبات وأسمائها.
(٤٢) المحبر ص ٢٤١.

أَوْ الـيَـشْـكُـرِيِّـيْنَ الـكَـرِيْـمِ فِـعَـالُهُـم
بَـنِي مُـوْرِثِ الأَضْـيَـافِ مِـن آلِ أَسْـوَدِ

وقد تمنى معاوية بن أبي سفيان أن تكون له مكرمة ربيعة بن الأسود مكان خلافته(٤٣).

ولا شك أن هذه المواقف المشرفة في تاريخ العرب وفي عاداتهم تصلح دليلاً لما وصل إليه الشعور العام من اهتمام بالضيافة ومساعدة الغريب وابن السبيل ومن تنقطع به الطريق ويشق عليه السفر. ولم يعد مستغرباً أن يكون للضيف مساحة كبيرة من شعر الشعراء وفخر الفاخرين بمحامد أجوادهم وأعمال الفضيلة عندهم، وقد نال عادة الضيافة وإكرام الضيف شيء كثير من الاهتمام الجماعي وقلَّ ما عرض شاعر من العرب للمدح أو للذم إلا وجعل من شعره نصيباً طيباً للمدح بكرم العربي لضيفه أو هجائه بإهماله.

(٤٣) المحبر ص ١٤١، انظر المفصل عنها أيضاً جـ ٥ ص ٧٥.

حتمية الضيافة

رسخ قري الضيف في العقل العربي وتأصل حتى صار حقاً لازماً لا يلغيه أو يقلل منه حال من الأحوال أو ظرف من الظروف الطارئة في حياة العرب، وما أكثر ما يحدث من ظروف وما يطرأ من طوارىء الدهر، وحتى الحرب وهي أقسى ما يقع بينهم لا تمنع أحد المتحاربين من تقديم القرى للمحارب الآخر إذا نزل عليه، فقد ذكر من أخبار الجاهلية أن أبا كرب تبع غزا الأوس والخزرج في يثرب عندما أنفوا طاعته وعصوا أمره فكانوا يحاربونه في النهار فإذا جن الليل وتوقفت الحرب أخرج الأوس والخزرج طعام الضيافة لجيشه وقدموا لهم القرى الذي يرونه واجباً عليهم حتى في مثل تلك الحال من الحرب والقتال(٤٤).

ينقسم سكان الجزيرة إلى أهل مدر وأهل وبر، ولأهل المدر الحصون الحصينة والقلاع والأبواب المرتجة التي تمنع الطارق من الدخول إليها وطلب الطعام من أهلها في الليل، ففطنوا إلى ذلك وأثر عن بعض سكان الحصون والقرى أن فيهم من كانوا لا يغلقون أبواب بيوتهم في الليل خشية أن يطرقهم ضيف وهم نيام فلا يجد أحداً يقريه وقد ينام خارج البيت طاوياً(٤٥) وقد استمرت هذه العادة حتى عهد قريب في قرى الحجاز وفي قُرى المدينة المنورة فيما أعلم(٤٦).

---

(٤٤) العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٣٤.

(٤٥) مغازي الواقدي جـ ١ ص ٣٩١.

(٤٦) كان أهل العوالي خاصة وقباء وقرى المدينة المحيطة بها يجعلون غرفة خارج المنزل متصلة بسوره فيها يكون الطعام وأغلبه التمر وما يحتاج إليه الضيف كالقهوة والماء فإذا نزل في الليل لا يحتاج إلى إيقاظ أهل المنزل، فيذهب إلى هذه الغرفة فيجد القرى فينال ما شاء وينام بعد ذلك أو يخرج في سبيله. وقد سجل الشيخ جهز بن شرار شيخ ميمون من بني عبد الله شعراً عامياً في القرن الماضي يذكر فيه فضل أهل العوالي وإكرامهم الضيف وأنهم لا يغلقون الباب دونه فيقول:

يا ليتني سيرت يم العوالي ... اللي ترحب بالمسايير أهلها

شرّابة للبن لو قيل غالي ... ما صكوا البيبان عن من دهلها

معنى الأبيات:

يقول ليته نزل ضيفاً على أهل العالية في المدينة المنورة حيث لا يجد باباً مغلقاً دون الضيف. وسبب شعره أنه قدم قرية

وجاء في أمثالهم: أقرى من زاد الركب، وأقرى من حاسي الذهب، وأقرى من مطاعيم الريح، وأقرى من آكل الخبز وأقرى من أرماق المقوين(٤٧).

أما أهل الوبر أو البادية المنتقلون في فجاج الصحراء وأنحاء الجزيرة فكان شأنهم عجيباً في إقراء الضيف والاحتشاد له والاهتمام بأمره مع ما يعتري الناس من عوز وفاقة. وهم ينتشرون في الصحراء ويذهبون في مجاهلها كل مذهب يطلبون الخصب ويتبعون الغيث ويرتادون مواقع الحيا أنّى كان. والمسافر في الصحراء لا يستطيع الاهتداء إليهم إلا بتتبع الأثر أو بتقصي الخبر ولكنهم لم يعدموا وسيلة تجلب الضيف حيث كان ولم يعدم الضارب في فيافي الصحراء الواسعة وسيلة يقتفي بها آثار النازحين. فكانت النار إحدى أمارات الهداية لمن غاب منهم أو ضل عنهم فهي توقد للاصطلاء والطبخ وأغراض هداية التائهين كما جاء في مأثورهم «أشهر من نار على علم»، فكانت وسيلة لم يلبث العرب أن جعلوها مناطاً لفخرهم وجعلوا إيقادها تعبيراً عن كرمهم وحبهم في صنع الجميل فصنفوا النيران(٤٨) وأضافوها إلى ما تجلب وما تعبر عنه في حياتهم وما توقد من أجله ومنها نار القرى وهي نار يوقدها الجواد في الليل وخاصة في ليالي الشتاء وغيرها ليستدل بها الأضياف(٤٩) وقيل هي مذكورة على الحقيقة لا على المثل وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها وهي النار

من قرى الجزيرة وكان يريد القهوة والقرى فوجد الأبواب مغلقة واستحى أن يقرع الأبواب طلباً للطعام وتذكر عادة أهل العوالي في المدينة وما يعرف عنهم من إكرام الضيف وأنهم لا يضطرونه لطلب القرى وقرع الأبواب ولكنها تبقى مفتوحة وطعام الضيف معداً جاهزاً حتى في الليل والناس نيام. والقصيدة طويلة يعرفها المهتمون بالشعر العامي وفيها يذكر اسم القرية التي عناها بشعره وقارن بينها وبين عالية المدينة.

وفي الحناكية كان الشيخ حمد بن سميحة لا يغلق باب منزله ليلاً ويبقى المكان الخاص بالضيوف مفتوحاً لطارق الليل والشيخ حمد ما زال حياً.

وفي الإتيمة كان الشيخ سعد أبو ربعة لا يغلق بيته في الليل خوفاً من أن ينزل ضيف فلا يجد القرى.

(٤٧) مجمع الأمثال، جـ ٢ ص ١٢٧.

(٤٨) حسب الغرض الذي توقد من أجله فمنها نار الحرب ونار القرى... إلخ.

(٤٩) نشوة الطرب جـ ٢ ص ٨٠٠.

التي كانت ترفع للسفر ولمن يلتمس القرى فكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة ومن أحسنها قول الأعشى(٥٠):

لَعَمْرِيْ لَقَدْ لَاحَتْ عُيُوْنٌ كَثِيْرَةٌ إلى ضَوْءِ نَارٍ في اليَفَاعِ تُحَرَّقُ
فَشُبَّتْ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ على النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلِّقُ

وقال الجاحظ وأحسن من هذا الشعر في هذا المعنى ومن كل شعر في معناه قول الحطيئة(٥١):

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلَىٰ ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوْقِدِ

ومن أحسن ما قيل في هذه النار قول الشاعر(٥٢):

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ وَادٍ إذَا النِّيْرَانُ أُلْبِسَتِ القِنَاعَا
وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالاً وَلٰكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُم ذِرَاعَا

وما أكرم وأشرف من قال وهو يأمر غلامه بالإيقاد والاستجلاب للأضياف:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرُّ وَالرِّيْحُ مَا تَرَاهُ رِيْحٌ صِرُّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفاً فَأَنْتَ حُرُّ

وينقل فيها قول الشاعر الآخر - أي في نار القرى - وهو إبراهيم بن هرمة:

إذَا ضَلَّ عَنْهُمْ ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ مِنَ النَّارِ في الظَّلْمَاءِ أَلْوِيَةً حُمْرَا

---

(٥٠) ثمار القلوب ص ٥٧٥.

(٥١) ثمار القلوب ص ٥٧٦ ونظره في الديان ص ٨١.

(٥٢) نهاية الأرب جـ ١ ص ١١٣.

وتذهب النار في تقاليد العرب إلى بعد سحيق ومذاهب شتى حتى أصبح احتكارها من قبل أهل السلطان والقوة علامة من علامات السيادة وصار حقها شخصياً لا يفعله الآخرون إلا بإذن صاحب الامتياز فيقول مهلهل أخو كليب بن ربيعة في رثاء أخيه(٥٣):

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ
وَاسْتُبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المَجْلِسُ
وَتَكَلَّمُوا في أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبُسُوا

وكان كليب وائل لا توقد مع ناره للضيفان نار في أحمائه وفيما يقرب من منازله وأوطانه.

وعلى الرغم من إلحاح ما سبق من النصوص عن نار القرى وأن الكريم المضياف يشعلها الليل كله أو بعضه فإن استقراء التاريخ وغربلة الواقع الذي عاشه أهل الجزيرة والنظر في شعرهم وعاداتهم وما خلفوه من إرث أدبي كثير يقنعنا بغير ذلك وهو أن النار ما كانت في بداية الأمر استجلاباً للضيف إلى حيث مرابع الحي ومنازل الأجواد وسعة أهل الفضل. لكنها كانت توقد لمن كان من أهل الحي غائباً في سفر أو ذاهباً في رعي أو طالباً لصيد. فإذا انتقل الحي إلى مربع جديد ومكان آخر لا يجد هؤلاء دلالة غير النار التي توقد في الليل للغائبين فترفع على النشز ويبالغ في إشعالها كلما كان الغائبون عن الحي لم يعودوا إليه لعلهم يشاهدونها فيؤمونها ويعرفون أماكن نزول القبيلة والشاهد على ما نذهب إليه قول الشاعر(٥٤):

وَنَارٍ قَدْ رَفَعْتُ لِغَيْرِ خَيْرٍ رَجَاءِ أَنْ تَأَوَّبَنِي الرِّعَاءُ
تَأَوَّبَنِي طَوِيلُ الشَّخْصِ مِنْهُم يَجُرُّ ثِفَالَهُ يَرْجُو العَشَاءَ

---

(٥٣) الحماسة جـ ٢، ص ٩٢٨.

(٥٤) البخلاء ص ٢٢٩.

فَكَانَ عَشَاءَهُ عِنْدِي خَزِيْرٌ   بِتَمْرٍ جَثِيْثَةٍ فِيهِ نَوَاءُ

إن النار تجلب كل من رآها ومنهم اللص السارق والعدو الغازي والموتور الثائر وغيرهم ولا أظن أحداً من العرب في فجاج الصحراء يود أن يهتدي إليه هؤلاء أو يعرفوا مكانه . ولكن اضطروا لإيقادها فكانت سبباً في جلب الضيف والمسافر الذي يضرب في مفاوز الجزيرة الواسعة ويخبط الليل بحثاً عن مأوى أو طلباً لوجبة طعام فيحقق له هدف لم يرده الموقدون لها فنسي الغرض الأول من إيقادها وأصبح الفاخرون منهم يذكرونها على أنها توقد للضيف وترفع له، وسنجد الشعراء يدَّعون ذلك ويزعمون أنه إذا رأى النار غريب مسافر وقدم إليها طالباً القرى فإنهم من أجله أشعلوا النار رغبة في رؤيته وإقرائه والتفضل عليه . ولا يستبعد بعد أن أصبحت نار القرى موضع فخر أن يوجد من يشعلها ويرفعها في بعض لحظات الإشراق النفسي وثورة الأريحية في وجدانه للأضياف ـ كما نصت الأبيات السابقة ـ وهو يعرف أنها ستجلب الضيف وكل من رآها واستطاع الوصول إليها .

وليست النار وحدها الدليل الذي يستدل به الضالون في مفاوز الجزيرة، فالنار لا توقد الليل كله ولا نصفه إلا فيما قلَّ وندر وطبيعة الحياة هو أن إيقاد النار يستمر بعض الليل لا كله فإذا هدأت الحركة واستسلم الناس لسلطان النوم بعد جهد مملوء بالكد والتعب والتقلب في شؤون الحياة كان الكلب هو الحارس الذي لا ينام يسهر يحوط الحي ويحرس الماشية ويعلو نباحه كلما جن الليل غير هادىء . فاهتدى به الأضياف والضلال وقد سماه العرب داعي الضمير لما يجلب من الأضياف عليهم بنباحه، وقد ذكر صاحب المستطرف أنهم كانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال ويأتي الأضياف على نباحها(٥٥) . وهذا القول هو أقرب إلى الحقيقة أو هو الحقيقة ذاتها فالنار والكلاب ما كانت في بداية الأمر لهداية الضيف وإنما كانت لهداية الضال من أهل الحي . وحرصهم على عودة أحد أفراد الحي هو الذي جعلهم إذا غلبهم النوم فلم يستمروا على إيقاد النار ربطوا الكلاب إلى العمد بعيداً عن الحي حتى تستوحش وتنبح . وتلك عادة من عادات العرب حتى في العهد الماضي

(٥٥) المستطرف جـ ١ ص ٣٧١ .

القريب كانوا يفعلون هذا الفعل إذا انتقلوا من مكان إلى آخر وكان لهم غائب يتوقعون قدومه على آثارهم. لكن الضيف سيجد طريقه إلى الحي مع الغائبين ولن يستطيع أحد منعه. وقد اختلط لهذا السبب ذكر النار ونباح الكلب في استجلاب الضيف لأنه غير المطلوب ولا المستجلب. والضيف من جانبه كان يحرص على سماع النباح فيحاول إذا اقترب من منطقة مأهولة تقليد صوت الكلب والنباح كما ينبح الكلب فتجيبه الكلاب إن سمعت صوته فيعرف مكان الحي ومرابعه. وقد وصف الشعراء هذا الموقف في مواضع كثيرة ومناسبات متعددة في شعرهم الذي وصل إلينا مثل قول أحدهم(٥٦):

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ ... حَضَأْتُ لَهُ نَاراً لَهَا حَطَبٌ جَزْلُ
وَقُمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعاً فَغَنِمْتُهُ ... مَخَافَةَ قَوْمٍ أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
فَأَوْسَعَنِي حَمْداً وَأَوْسَعْتُهُ قِرًى ... وَأَرْخِصْ بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبَهُ الأَكْلُ

ويفخر أرطأة بن سهية فيقول(٥٧):

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِناً
إِذَا أَغْدَقَ السِّتْرَ البَخِيْلُ المُوَاكِلُ
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلاَبٌ كَثِيْرَةٌ
على ثِقَةٍ مني بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي من تِلاَدٍ تَحُوزُهُ
يَدُ الضَّيْفِ إلا أَنْ تُصَانَ الحَلاَئِلُ

ومثله قول إبراهيم بن هرمة عندما فخر بنباح كلبه وفرحته بضيفه(٥٨):

(٥٦) الكرماء ص ٢٣ الحماسة ص ١٥٦٩.
(٥٧) الحيوان جـ ١ ص ٣٦٧.
(٥٨) الحيوان جـ ١ ص ٣٦٧.

وَمُسْتَنْبِحٍ نَبَّهْتُ كَلْبِي لِصَوْتِهِ
وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي اليَفَاعِ فَجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوْتِ قَدْ مَسَّهُ الضَّوَى
بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الغِرَارَيْنِ قَاضِبِ
فَرَحَّبْتُ وَٱسْتَبْشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتُهُ
وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كُلَّ آئِبِ

وكان طارق الليل أكثر الأضياف مؤنة وأشدهم على مضيفه عناء إذ لا يتوفر شيء يقرى به ولا يسهل تقديم الطعام إلا أن يوقظ أهل البيت حتى يكمل واجب الضيافة وهو أمر لا يخفى ما فيه من المشقة حتى لو كان الطعام موجوداً والقرى متوفراً، فما بالك إذا كان الطارق في هزيع الليل قد ساقه حظه التعس إلى بيت لا يجد أهله الطعام لأنفسهم فضلاً عن زيادة يقتات بها الضيفان. إن العبء الذي يلقيه هذا الطارق عظيم والقيام بواجب الضيافة شاق وقد يدفع الأمر صاحب المنزل إلى مغامرة غير مأمونة العواقب وفيها من الحرج ما لا يخفى. فقد نزل على حاتم الطائي ضيف في هجعة الليل ولم يكن ثمة قرى فنحر حاتم ناقة الضيف له وعشّاه منها حتى لا يقع في عار الحرمان لضيفه وعار البخل على نفسه، ثم أرضاه بعد ذلك بعوض مجز من الإبل(٥٩) وحدث الشيء نفسه للراعي النميري وسجل معاناته وما لقيه بقصيدة من أجمل ما قيل في المعنى سترد فيما يأتي من نصوص الشعر(٦٠).

ويأتي التعبير عند الحطيئة في موقف شعري رائع فيقص حرجاً عظيماً وقع فيه أهل بيت من العرب وهم في صحراء مقفرة أوغلوا فيها حتى لا يروا أحداً من الناس ولا يجتمعوا إلى أحد من البشر وهم عراة جوّع فطرقهم الضيف الطالب للقرى فلم يمنعهم ما هم فيه من بؤس عن حقوق الضيافة. وعلى الرغم من أن الحطيئة(٦١) يتخيل صورة قصصية لأبطال

(٥٩) المحاسن والأضداد ص ٥٧.
(٦٠) ديوان الراعي النميري ص ٥.
(٦١) سترد القصيدة في مكانها من البحث.

مشهده الشعري إلا أن قصته واقعية تحكي حال العرب وتدلل على مكانة الضيف والتزامهم بواجب الضيافة في أي ظرف من ظروف الحياة. وليست الأيام كلها بتلك القسوة الحادة التي تصورها الأبيات الكثيرة والفخر المطرد الذي يصف تجاوز العربي لكل العوائق والظروف وتفتيقه للحيل حتى ينجح بقراء الضيف. إنما توجد ظروف الخصب والنماء والنعمة التي تمكن الرجل الجواد من إكرام الضيف وإعطائه من سعة وترفيهه بأنواع الطعام. فنجد أنواعاً كثيرة وصنوفاً شتى تقدم للضيف قبل الوجبة الأساسية منها العجيل أو العجل وهو طعام يقدم إلى الضيف حال نزوله ويكون من السويق والتمر في أغلب الأحيان، ومنها القفي وهو اللبن الذي يعطى للضيف بعد الطعام ومنها القفارة وهو المرق الذي يقدم للضيف قبيل الوجبة الأساسية[٦٢]. ولهنة الضيف وهو طعام خفيف يقدم للضيف يتلهى به ويرد جوعه حتى يهيأ الطعام ومن أمثالهم في هذا المعنى كسرة بملح إلى أن يدرك الشواء[٦٣] وقد تمدحوا بتعجيل القرى للضيف وذموا بإبطائه إذ الإبطاء دليل على تعسر معنى الكرم في نفوسهم وإبطاء بحق الضيف ولذا هجا الشعراء من يؤخر القرى في مثل قولهم:

أَسَأْتُمْ وَأَبْطَأْتُمْ عَلَى الضَّيْفِ بِالقِرَىٰ ... وَخَيْرُ القِرَىٰ لِلنَّازِلِينْ المُعَجَّلُ

وقيل في الأثر: العجلة من الشيطان إلا في خمس منهن، إطعام الضيف إذا حل[٦٤]!

وقد سمي حي من أحياء العرب ببني العجلان لأنهم كانوا يعجلون بقرى الضيف ويسرعون إليه[٦٥] فكانت مفخرة لهم وانتسبوا إلى العجلان لفضل عمله وشهرته بما يحمده الناس له ويثنون به عليه.

---

(٦٢) المفصل جـ ٤ ص ٦٨٦.

(٦٣) وثمار القلوب ص ٦٠٨.

(٦٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٦٨.

(٦٥) العمدة جـ ١ ص ٥٢.

هـدايــة الضيــف

أ ـ نـار القــرى:

تمتد الجزيرة امتداد الأفق وتتسع فجاجها أمام السالكين اتساع فضاء سمائها فتصبح الهداية فيها أحد ضروب المستحيل. وأبعد ما يرى المسافر فيها هو ضوء النار في ليالي الشتاء الدامسة حين يوقدها الحي النازلون عند أطباق الليـل على فسحـة الكون من حـولهم، للاصطلاء عليها والاجتماع حولها والتعلل بضوئها قبل أن ينهض كل منهم إلى فراشه، فيمتد شعاع النار امتداد الأفق ويرتفع سناها في كبد السماء فلا يحجبها حاجز عن الناظرين مهما كان البعد، وقد صار لضوء النار شأن أي شأن في جلب الضيف الذي يضرب في متاهات الصحراء ومفازات الأرض، فلا يكاد يرى النار حتى يتجه إليها ويطلبها ليقطع وحشة الليل ويرتاح بعض الوقت من وعثاء السفر وينال وجبة طعام قد تكون هي مطلبه الأول.

وما سوف يرد من الشعر الذي يصف نار القرى وما تجلب من الأضياف هو نتيجة مفروضة تقبلها الشاعر وحوَّلها إلى فخر له ومباهاة للآخرين وجعلها إحدى علامات الكرم في جبلته فيرتفع فوق أقرانه ويشهر في حيه، ويؤكد في كل كلمة يقولها أنه أوقد النار عمداً وأشعلها قصداً لتجلب الضيف إليه فيراها ويستبشر به ويستعد لإكرامه ويثبت لأقرانه أنه جواد مضياف لا يطفيء النار خشية مغرم الضيافة ولكنه يشعلها لمن أتى طارقاً ويسرع إلى القرى وينهض بحقوق القادمين، وما دام ذلك يحتاج إلى تتبع الشعـر حتى يكون وثيقـة الاعتماد وحجة المدعي فإن الاستشهاد به يجب أن يكون أولاً قبل عرض فلسفة القـرى وعلاقة النار بجلب الضيف وآداب العرب فيما يصر على ذكره الشعراء حتى يتضح إذا كان قوله مطابقاً للواقع أو أنه يدعي هذا الادعاء ويوقد النار لغير القرى.

إن تمثل الحياة لسكان الجزيرة التي يغلب عليها طابع التقشف والعـوز يقرِّب إلى الأذهان الصورة المشرقة المطلوبة ويجعلها قيمة فوق أكثر القيم ويجلو الجانب الإيجابي منها فيصير ترويحاً للنفس وتهيئة للإقدام على مجازفة كبرى عندما تكون الرغبة في صراع الطبيعة

قوية في نفس العربي الجواد لا ينهض بها ما يملك من حطام الدنيا ولا يمكن أن ينهض بها وحده ومع قلة ذات اليد يقدم ولا يتردد ويرفع النار وإن قلَّ ما لديه وبخل عليه من حوله. ولا بد أن تكون الكثرة التي يدعيها الشعراء هي في الحقيقة كثرة نسبية إلا أنه لا مراء أنها موجودة على كل حال كما ذكروا وهذا أول شاهد يقول(٦٦) :

لَـهُ نَـارٌ تُـشَـبُّ بِـكُـلِ رِيْـحٍ   إِذَا الـظَّلْمَاءُ جَـلَّلَتِ الـيَـفَـاعَـا
وَمَـا إِنْ كَـانَ أَكْـثَـرَهُـمْ سَـوَامـاً   وَلَـكِـنْ كَـانَ أَرْحَـبَـهُـمْ ذِرَاعَـا

فالنار تكلف موقدها بذل المال وإن كان قليل الثروة وموقد النار مقدم على تبعات الإيقاد فيتحمل أعباء ما تأتي به فخور بأنها تجلب الأضياف عندما يضعها في النشز العالي من الأرض وتسعرها الريح العاصف التي تزيد لهيبها إشعاعاً وارتفاعاً حتى يراها كل ناظر في أرجاء الأرض المحيطة به وبمن حوله(٦٧) :

وَنَـارٍ كَسَحْرِ العَـوْدِ يَـرْفَـعُ ضَـوْءَهَـا   مَـعَ اللَّيْـلِ هَبَّـاتُ الـرِّيَـاحِ الصَّـوَارِدُ

إذن النار الموقدة علامة هداية للضيف ولغيره والموقد لها حريص على أن يرى الأضياف يؤمونها ولا يخشى أن يرفعها عالياً حتى يحصل له الشرف الذي يطمع أن يوصف به كل رجل كريم جواد يريد الذكر الحسن والثناء العطر، وقد بالغت العرب بحب الفخر والمدح أو بالغ بعض منهم بحبهم الثناء وقدموا أموالهم طيعة بها نفوسهم من أجل أن يرتفع بها شأنهم في القبائل العربية ويطير حمدهم في الآفاق. وليس الميسر في ليالي الشتاء المقفرة والنحر لكرائم الإبل والانهاب للمال إلا محاولات منهم لإظهار التميز بالجود والبذخ بالشرف الأشم والارتفاع إلى مكان عالٍ من حب الشهرة والحرص على كسب فضائل القيم المحمودة عندهم. والقرى أحد هذه الوسائل وإكرام الضيف سبب ممكن لانتشار السمعة

---

(٦٦) البخلاء ص ٢٤٣.

(٦٧) البخلاء ص ٢٤٣.

الحسنة فهو غريب سيذكر ما يلقى وينشر ما يعرف حين يرتحل ويغدو وهو لا شك ذاكر ما لقي كما يقول الحطيئة(٦٨) :

وَإنَّ الجَارَ مِثْلُ الضَّيْفِ يَغْدُو   لِوِجْهَتِهِ وَإنْ طَالَ الثَّوَاءُ

وَيقول حاتم الطائي(٦٩) :

وَإنِّيَ لَا آلُو بِمَالٍ صَنِيْعَةً   فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ حَمْدُ

ويقول الطفيل الغنوي إن الضيف مخبر بما يلقى ومحدث عن ما يجد من الكرم أو غيره ومذيع ما يعرف إن أكرم أذاع الإكرام وأثنى على من أكرمه وإن بخل عليه أذاع البخل ولام المستضاف وفضحه مع الناس فيخشاه الباحثون عن الصيت الطيب والذكر المحمود. والأجواد يخشون لسان الشاعر ويخافونه أشد الخوف(٧٠) :

وَقَدْ حَاذَرُوا مَا الْجَارُ وَالضَّيْفُ مُخْبِرٌ   إذَا فَارَقَا، كُلٌّ بِذَلِكَ مُولَعُ

والمثقبي العبدي يصف ضيفاً يخبط في غياهب الظلماء، وبهيم الليل يطبق عليه من كل جانب ويحيط به فيحجب عنه الرؤية وهو جاد في سيره وحريص على أن يجد مكاناً يأوي إليه ويستكن به، وبينما هو كذلك إذ لاح له ضوء نار كأنها في كبد السماء، فأكذب نفسه لشدة حرصه أن تكون حقيقة، وما كاد يتيقن من ضوء النار حتى أخذ نشاطه يتجدد وعزمه يتقد فاتجه نحوها وسار مسرعاً حتى أتاها وقد أمطرته تلك الليلة الباردة فبللت ثيابه فكان أحوج للدفء منه للطعام وإن كانت حاجته لكل منهما إشد من الأخرى. وعند النار لقيه المستضيف مرحباً به وكأنه صديق حميم ومستبشراً بمقدمه كأنه الغائب المنتظر فقال في وصف ذلك الأبيات التالية(٧١) :

---

(٦٨) ديوان الحطيئة ص ١٠٢ .

(٦٩) ديوان حاتم ص ٢١٣ .

(٧٠) ديوان طفيل الغفوي ص ٨٦ .

(٧١) ديوان المثقب العبدي ص ١١٧ .

وَسَارٍ تَعَنَّاهُ المَبِيْتُ فَلَمْ يَدَعْ
لَهُ طَامِسُ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ مَذْهَبَا
رَأى ضَوْءَ نَارٍ مِن بَعِيْدٍ فَخَالَهَا
لَقَدْ أكْذَبَتْهُ النَّفْسُ بَلْ رآءَ كَوْكَبَا
فَلَمَّا اسْتَبَانَ أَنَّهَا آنَسِيَّةُ
وَصَدَّقَ ظَنًّا بَعْدَمَا كَانَ كَذَّبَا
رَفَعْتُ لَهُ بِالْكَفِّ نَاراً تُشُبُّهَا
شَآمِيَةُ نَكْبَاءُ أَوْ عَاصِفٌ صَبَا
وَقَلْتُ ارْفَعَاهَا بِالصَّعِيْدِ كَفَى بِهَا
مُنَادٍ لِسَارٍ لَيْلَةَ أَنْ تَأَوَّبَا
فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبُلُّهُ
فَلَقَّيْتُهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا
وَقُمْتُ إِلىٰ البَرْكِ الهَوَاجِدِ فَاتَّقَتْ
بِكَوْمَاءَ لَمْ يَذْهَبْ بِهَا النَّيُّ مَذْهَبَا
فَرَجَّعْتُ أَعْلَى الحَقْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ
رَعَتْ مُسْتَكِنَّ الجَوْفِ حَتَّى تَصَبَّبَا
تَسَامَىٰ بَنَاتُ الغَلْيِ فِيْ حَجَرَاتِهَا
تَسَامَىٰ عِتَاقِ الخَيْلِ وَرْداً وَأَشْهَبَا

ولا يختلف الشعراء على أن النار عامل جذب للأضياف ودلالة يعشو إليها المُرْمِلون

والسُّفْر وأهل الحاجة، وموقد النار هو مشوى المعوزين وطالبي القرى كما يقول امرؤ القيس[٧٢]:

لَـنِـعْـمَ الـفَـتَىٰ تَـعْـشُـو إلىٰ ضَـوْءِ نَـارِهِ
طَـرِيْـفُ بْـنُ مَـالٍ لَـيْـلَةَ الجُـوْعِ وَالخَصِرِ

ويقول عمرو بن عبد الله العجلي[٧٣]:

إِذَا أُخْمِـدَ الـنِّـيْرَانُ مِـنْ حَـذَرِ الـقِـرَىٰ
رَأَيْـتَ سَـنَـا نَـارِيْ يَـشُـبُّ اضْـطِرَامُـهَـا

أما حاتم الطائي فيطابق المعنى عند العجلي ويقول[٧٤]:

إِذَا مَـا الـبَـخِـيْـلُ الخَـبْءُ أَخْمَـدَ نَـارَهُ
أَقُـولُ لِمَـنْ يُـصْـلِي بِـنَـارِيَ أَوْقِـدُوا
تَـوَسَّـعْ قَـلِـيْـلاً أو يَـكُـنْ ثَـمَّ حَـسْـبُـنَـا
وَمُـوقِـدُهَـا الـبَـادِي أَعَـفُ وَأَحْمَـدُ

وهذان الشاعران يثيران الأمر الذي سنصل إليه بعد قليل وهو أن ليس كل العرب يوقدون النار ويفرحون بالضيف ويسرون برؤيته لكن هناك من يخمد النار ويتقي واجبات الضيافة وهو ما يفسر فخر الفاخرين من الشعراء باستقبال الضيف والقيام بواجبات الضيافة، ولن يقف البحث الآن عند هذا الجانب من القضية وإنما سيمر لنسمع مزرد بن ضرار يقول[٧٥]:

(٧٢) ديوان امرىء القيس ص ١١٠ .
(٧٣) معجم الشعراء ص ٢٢٣ .
(٧٤) ديوان حاتم الطائي ص ٢٦٣ .
(٧٥) البخلاء ص ٢٤٣ .

فَـأَبْصَرَ نَـارِيْ وَهْـيَ شَـقْـرَاءُ أُوْقِـدَتْ　　بِـعَـلْيَـاء نَـشْـزٍ لِـلعُـيُـوْنِ النَّـوَاظِـرِ

أما المرار الفقعسي فيرى أن النار مجلبة للضيف ويرى غيره يخفيها ولا يرفع سناها فيعرض به ويقسم ألا يفعل كما يفعل هؤلاء (٧٦):

آلَـيْـتُ لَا أُخْـفِـيْ إِذَا الـلَّيْـلُ جَـنَّـنِيْ
سَـنَـا الـنَّـارِ عَـنْ سَـارٍ وَلَا مُـتَـنـوِّرِ
فَـيَـا مُـوْقِـدَيْ نَـارِي ارْفَـعَـاهَـا لَـعَـلَّهَـا
تُضِيْءُ لِـسَـارٍ آخِـرَ الـلَّيـلِ مُـقْـتِرِ
وَمَـاذَا عَـلَيْـنَـا أَنْ يُـوَاجِـه نَـارَنَـا
كَـرِيْـمُ المُـحَـيَّـا شَـاحِـبُ المُـتَـحَسَّرِ
فَـبِـتْـنَـا بِـخَـيْرٍ مـن كَـرَامَـةِ ضَـيْـفِـنَـا
وَبِـتْـنَـا نُهَدِّي طُـعْـمَـةً غَـيْرَ مَـيْسَرِ

وتعد النار رسول الكريم الجواد إلى ضيفه وإلى من يريد الطعام فهي تبلغه الطلب وترفع له عالياً ليهتدي إليها دون أن يخاف الكريم المضياف من كثرة الطالبين للنار ويزعم أنها حق من حقوق الضيف سواء كان قريباً أو غريباً يقول مضرس بن ربعي (٧٧) :

وَإِنِّي لَأَدْعُـو الضَّيْفَ بِـالضَّـوْءِ بَعْدَمَـا　　كَسَـا الأَرْضَ نَضَّاحُ الجَلِيْـدِ وَجَـامِـدُهْ
لأُكْـرِمَـهُ إِنَّ الـكَـرَامَـةَ حَـقُّـهُ　　وَمِـثْـلَانِ عِـنْـدِيْ قُـرْبُـهُ وَتَـبَـاعُـدُهْ
أَبِـيْـتُ أُعَـشِّـيْـهِ الـسَّـدِيْـفَ وَإِنَّـنِيْ　　بِمَـا نَـالَ حتى يَـتْـرُكَ الحَيَّ حَـامِـدُهْ

(٧٦) الحماسة جـ ٤ ص ١٧٢٢ .

(٧٧) الحماسة جـ ٤ ص ١٦٩٤ .

ولا يبعد الأفوه الأودي عندما يصف ناره بأنها تشب للقرى وترفع للناظرين فيكون للضيف عندها رحب وسعة فيقول في وصف ذلك(٧٨) :

ثَـمَّ فِـيْـنَـا لـلقِـرَىٰ نَـارٌ يُـرَىٰ ... عِنْـدَهَـا لـلضَّـيْـفِ رُحْـبٌ وسَـعَـةْ

ويزعم مسكين الدارمي مثل ذلك(٧٩) :

وَنَـارٍ دَعَـوْتُ المُعْتَفِـيْنَ بِضَـوْئِـهَـا ... فَبَـاتُـوا عَلَيْهَـا أَوْ هَـدَيْتُ بِهَـا سَفْـرَا
تَضَـرَّمُ فِي لَيْـلِ الـتَّـمَـامِ وَقَـدْ بَـدَتْ ... هَـوَادِي نُجُـومِ اللَّيْـلِ يَحْسَبُهَـا جَمْـرَا

والراعي النميري يزعم أنه يرفع النار ويوقدها حتى يراها من ضل الطريق فيتجه إليها ولا يخمد أوارها حتى يصل الطارق ويستقر للقرى فيكون له ما أراد(٨٠) :

وَلَمَّـا عَـرَفْـنَـا أَنَّهَا أُمُّ خَـنْـزَرٍ ... جَفَـاهَـا مَـوَالِيْهَـا وَغَـابَ مُفِيْـدُهَـا
رَفَـعْـنَـا لَهَـا نَـاراً تُـثَـقَّـبُ لـلقِـرَىٰ ... وَلَقْحَـةَ أَضْيَـافٍ طَـوِيْـلاً رُكُـودُهَـا
فَـمَـاذَا ذَكَـرْتُمْ مِـن قَلُوصٍ عَـقَـرْتُهَـا ... بِسَيْفِي وَضَـيْفَـانُ الـشِّتَـاءِ شُـهُـودُهَـا
قَـرَيْتُ الكِـلاَبِيَّ الـذي يَبْتَغِي القِـرَىٰ ... وَأُمَّـكَ إِذْ تَحْـدِي إِلَـيْـنَـا قَـعُـودَهَـا

غونار السموءل لا تخمد خشية الضيف الطارق ولا يخيب القاصد لها ولا النازل فيهم، يحمدهم الضيف ويثني عليهم وليسوا ممن يبخلون بمالهم فيتعرضون للهجاء اللاذع الذي يتعرض له كل بخيل على ضيفه مانع لقراه فيقول(٨١) :

وَمَـا أُخْمِـدَتْ نَـارٌ لَـنَـا دُوْنَ طَـارِقٍ ... وَلاَ ذَمَّـنَـا فِي الـنَّـازِلِـيْنَ نَـزِيْـلُ

---

(٧٨) ديوان الأفوه الأودي ص ٢٠ .
(٧٩) ديوان مسكين الدارمي ص ٤٥ .
(٨٠) ديوان الراعي النميري ص ١٩٣ .
(٨١) ديوان السموءل ص ٢٦ .

وله أيضاً[٨٢] :

فَلَا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ   لَدَيَّ إِذَا قِيلَ لَمْ يُرْزَقِ

وموالي العرب وعبيدهم يأخذون في مذهبهم في الفخر والمدح والحديث عن الكرم وإقراء الضيف ورفع النار ليهتدي إليها المسافرون فعبد بني الحسحاس يزعم أنه يعقر الناب ويرفع النار فيقول[٨٣] :

فَقَدْ أَعْقِرُ النَّابَ ذَاتَ التَّلِيْلِ   حَتَى أُحَاوِلَ مِنهَا سُدَافَا
بِمَثْنَى الأَيَادِي لِمَنْ يَعْتَفِيْ   وَأَرْفَعُ نَارِي إِذَا مَا اسْتَضَافَا

إن الهداية إلى أماكن الاستقرار مطلب للضيف الذي يبحث عن الحي ويريد أن يصل إليهم والنار كانت إحدى علامات الهداية وقد مرَّ ما فيه الكفاية من شعر الشعراء عن النار وأنهم كانوا يوقدونها ليراها المسافر ويذهب إليها المقرور وأنهم يوقدونها للضيف وللضال ويفخرون عندما تجلب إليهم ضيفاً فيجد رب المنزل أمامه يقدم له القرى ويلقاه باشاً هاشاً فرحاً به، وذلك أول قراه.

والضيف الضارب في متاهات الصحراء سيكون أشد شوقاً وحرصاً على معرفة الأماكن الآهلة بالناس فيطلبها بكل وسيلة ممكنة ليجد القرى ويأنس من وحشة الصحراء ويرتاح من عناء السفر ويستزيد من ما هو بحاجة إليه وهو في طريقه إلى الغاية التي دفعتها إلى الرحيل.

ب ـ الاستنباح :

ولكن النار لن تدوم مشتعلة الليل كله ولو زعم بعض العرب أنهم يفعلون ذلك فلا بد أن ينام السامرون على ضوء النار والموقدون لها وتبقى الحاجة إلى وسيلة أخرى يهتدي بها

---

(٨٢) شعر السموءل ص ١٦.

(٨٣) ديوان سحيم عيد بني الحسحاس ص ٤٥.

الضيف على ليعرف أين يتجه وكيف يسير فكان الكلب العاوي الساهر على الحراسة، موضوعاً من موضوعات الفخر في الشعر العربي عندما يزعم الشاعر أن كلبه لا ينام، وأن الضيف لشدة حرصه على القرى وحبه في أن يجد المأوى سينبح كما ينبح الكلب، لعل الكلاب تجيبه فيعرف مكان الحي فيتجه إليه وأن الكريم الجواد إذا سمع ذلك قام ورفع للضيف النار وأشلى الكلاب حتى تنبح فيدل نباحها الضيف فيقول[٨٤] :

وَمُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهُهُ
فَتَاهُ وَجُوْزُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبُ الكِسْرِ
رَفَعْتُ لَهُ نَاراً ثَقُوباً زِنَادُهَا
تُلِيحُ إلى السَّارِي: هَلُمَّ إلى قِدْرِي
فَلَمَّا أَتَىٰ وَالبُؤْسُ رَادِفُ رَحْلِهِ
تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي بِوَجْهِ امْرِىءٍ بَشْرِ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلٌ كَأَهْلٍ فَلَمْ يَجُرْ
بِكَ اللَّيْلُ إلا لِلْجَمِيْلِ مِنَ الأَمْرِ
وَكَادَتْ تَطِيْرُ الشَّوْلُ عِرْفَانَ صَوْتِهِ
وَلَمْ تُمْسِ إلا وَهْيَ خَائِفَةَ العَقْرِ

ومثله قول الآخر[٨٥] :

وَمُسْتَنْبِحٍ أَهْلَ الثَّرَىٰ يَطْلُبُ القِرَىٰ   إِلَيْنَا وَمَمْسَاهُ مِنَ الأَرْضِ نَازِحُ

والراعي النميري يقول أيضاً[٨٦] :

(٨٤) الأمالي جـ ١ ص ٢١٠ .

(٨٥) البخلاء ص ٢٣٧ .

(٨٦) ديوان الراعي النميري ص ٢٥٩ .

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوِيْ مَسَاقِطُ رَأْسِهِ ... على الرَّحْلِ في طَخْيَاءَ طُلْسٌ نُجُومُهَا
رَفَعْتُ مَشْبُوبَةً عَصَفَتْ بِهَا ... صَبَا تَعْتَفِيْهَا تَارَةً وَتُقِيْمُهَا
فَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ ... وَبَشَّرَ نَفْساً كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا

أما عتبة بن بجير الحارثي فهو أيضاً يشارك في وصف الطارق في سواد الليل وهو يحاول أن يهتدي إلى مكان الحي فينبح كما ينبح الكلب ويتوهم لحرصه أنه يسمع نباحاً وما يسمع غير الصدى الذي يتردد في أنحاء القفر فيميل إليه ويطلبه فلا يجد شيئاً ويرهق سمعه فلا يتأكد له ما توهمه من قبل فيكرر الصوت مرة اخرى حتى يسمع صوته الرجل الكريم فلا يجثم مكانه ولا يستلذ النوم ودفء الفراش كما يقول عتبة في الأبيات الآتية(٨٧).

وَمُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصَّدَىٰ يَسْتَتِيْهُهُ ... إلىٰ كُلِّ صَوْتٍ فَهْوَ في الرَّحْلِ جَانِحُ
فَقُلْتُ لأَهْلِي : مَا بُغَامُ مَطِيَّةٍ ... وَسَارٍ أَضَافَتْهُ الكِلَابُ النَّوابِحُ
فَقَالُوا غَرِيْبٌ طَارِقٌ طَوَّحتْ بِهِ ... مُتُونُ الفَيَافِيْ وَالخُطُوبُ الطَّوَائِحُ
فَقُمْتُ وَلَمْ أَجْثُمْ مَكَانِيْ وَلَمْ تَقُمْ ... مَعَ النَّفْسِ عِلَّاتُ النّفُوسِ الشَّحَائِحُ
وَنَادَيْتُ شِبْلاً فَاسْتَجَابَ وَرُبَّمَا ... ضَمِنَّا قِرَىٰ عَشْرٍ لِمَنْ لا نُصَافِحُ
فَقَامَ أَبُو ضَيْفٍ كَرِيْمٍ كَأَنَّهُ ... إذَا جَدَّ مِنْ فَرْطِ الفُكَاهَةِ مَازِحُ
إلىٰ جِذْمِ مَالٍ نَهْكَنَا سَوَامَهُ ... وَأَعْرَاضُنَا فيه بَوَاقٍ صَحَائِحُ
جَعَلْنَاهُ دُونَ الذَّمِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... إذَاعُدَّ مَالُ المُكْثِرِينَ مَنَائِحُ

لقد أحسن كل الإحسان بتصوير غربة الضيف وأحسن التعبير عندما وصف إعمال المطي وما طوحت متون الفيافي كما يقول وما تعرض له الغريب من خطوب وآثار الهلكة في جوف الصحراء وهو لا يجد من يقدم له طعام يوم ولا متاع ساعة فيجيبه العربي المضياف ويخفف عنه

---

(٨٧) الحماسة ص ١٥٥٧ .

ألم الجوع ويؤنس وحشته فيعد ما قام به عملاً يستحق أن يفخر به الفاخرون وأن ينشد الشعر في ذكره وهذه الأبيات تعضد معنى الأبيات السابقة[88].

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ ... إِلَىٰ كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ
حَضَأْتُ لَه نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا ... وَمَاكَادَ لَوْلَا حَضْأَةُ النَّارِ يُبْصِرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَىٰ القِرَىٰ ... فَأَسْرَىٰ يَبُوْعُ الأَرْضَ وَالنَّارُ تُزْهِرُ
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَباً ... هَلُمَّ، وَلِلضَّالِيْنَ بِالنَّارِ أَبْشِرُوا

وشبيب بن البرصاء يقول: إن ضيفه بعيد في ظلمات الليل ويستنبح لأجل المبيت والدفء فلا يسمع شيئاً ولا يرى أحداً ولكن شبيباً يسمع استغاثته ويسرع إليه ملبياً دعوته ويعمد إلى النار فيوقدها[89]:

وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغِي المَبِيْتَ وَدُونَهُ
مِنَ اللَّيْلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وَسُتُوْرُهَا
رَفَعْتُ لَه نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا
زَجَرْتُ كِلَابِيْ أَنْ يَهِرَّ عَقُوْرُهَا
فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً
بِلَيْلَةِ صِدْقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا
فَلَا تَسْأَلِيْنِي وَاسْأَلِيْ عَنْ خَلِيْقَتِيْ
إِذَا رَدَّ عَافِي القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيْرُهَا
تَرَىٰ أَنَّ قِدْرِيْ لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا
لِذِيْ الفَرْوَةِ المَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

(٨٨) الحماسة ص ١٦٤٦.

(٨٩) شعر شبيب بن البرصاء، شعراء أمويون ص ٢٢٨.

ولم يذهب عمرو بن الأهتم بعيداً عن معنى الشعراء في شأن المستنبح الذي يرسل صوته مع ريح الليل البارد عسى أن يثير الكلاب العاويات فيجبنه بصوت مثل صوته فيعرف الطريق إلى حيث يريد ويجد في هزيع الليل الأخير زاداً يعيش منه ورفيقاً يرحب به ويقطع عنه رهبة الخوف وبعد الشقة فيتعلل بعض ليلة ثم يصبح مسافراً إلى ما يريد من رحلته التي توصف دائماً بالمشقة والبعد فيقول فيمن هذه حاله (٩٠) :

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوْءِ أَجَبْتُهُ
وَقَدْ حَانَ مِن سَارِي الشِّتَاءِ طَرُوقُ
يُعَالِجُ عِرْنِيناً مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً
تَلُفُّ رِيَاحٌ ثَوْبَهُ وَبُرُوقُ
أَضَفْتُ وَلَمْ أُفْحِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ
لأُخْرِمَهُ إِنَّ الفِنَاءَ يَضِيْقُ
فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
فَهَذَا مَبِيْتٌ صَالِحٌ وَصَدِيْقُ
وَضَاحَكْتُهُ مِن قَبْلِ عِرْفَانِيَ اسْمِهِ
لِيَأْنَسَ بِيْ إِنَّ الكَرِيْمَ رَفِيْقُ
وَقُمْتُ إِلَىٰ البَرْكِ الهَوَاجِدِ فَاتَّقَتْ
مَقَاصِيْدُ كُومٍ كَالمُجَادِلِ رُوْقُ
وَكُلُّ كَرِيْمٍ يَتَّقِيْ الذَّمَ بِالقِرَىٰ
وَلِلْخَيْرِ بَيْنَ الصَّالِحِيْنَ طَرِيْقُ

---

(٩٠) شعر عمرو بن الأهتم ص ٩٣.

أبيات جميلة أخذت الاستنباح سبباً حتى تتيح أمام الشاعر فرصة لحديثه عن ضيفه وعن نفسه وقد عرض واقع الحال لكلا الجانبين الضيف والمضيف وشرح الحال الذي عليه أهل الصحراء وشظف العيش الذي يعانيه أكثر سكانها إن لم يكن كل السكان وهي تضيف بعداً جديداً إلى ما تكرر وصفه فيما سبق من لوحات فنية تميز نظمها بسبك مثير لعاطفة المروءة ووصف واقعي للحاجة التي تنال المرء في بعض الظروف فيستجيب تلقائياً مع متطلبات الضرورة ويتفاعل وجدانياً مع الحاجة ويقدر البؤس الذي يجهد السالكين في رحاب الجزيرة الوعرة.

وقد فخر مثل غيره من الشعراء إلا أنه أشار إلى ملمح إنساني في أبياته أعطى قصيدته معنى قلّما عرض له الشعراء الفاخرون وهو تبسطه للضيف وإن كان غريباً وعبر عن طلاقة وجهه وإن كان لا يعرف الطارق وليس بينهما صداقة. فبشاشة اللقاء مع القرى تملأ نفس الغريب اطمئناناً ورضىً حتى يأنس الأنس كله. وقد زعم أنه اتحفه باللحاف الوثير ورفق به كل الرفق حتى طابت نفسه وهدأت بعد عناء وشفقة وخوف ومشقة من ظلمات الليل وترقب للمجهول. تلك بعض صور الحياة التي نلمسها في ثنايا الشعر وطوايا اللغة الشاعرة حتى لكأن الأمر بالنسبة للشاعر سرمدي أبذي لا يذهب بعيداً ولا يتزحزح جانباً وكلما أظلم الطقس وادَّلهم الليل أتت سماحة العربي الجواد ورقة عاطفته وسمو طبعه لتجلو ظلمات اليأس ببريق الأمل فيعود إلى طبعه من الكفاح ويحسن الاستقبال والمعاملة. ويعد ذلك كله تخلصا من كآبة الحياة ورتابة الواقع ويبعث الأمل في كلمات تحس المروءة في كل مقطع من مقاطع لغته وينطق لسانه بشيء غير قليل للمبادىء الخالدة فيأتي الشعر مشرقاً في قسوة الحياة كإشراق النار التي يذكر الشاعر ذكاءها في البيت الآتي[٩١]:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوْءِ دَعَوْتُهُ
بِشَقْرَاءَ مِثْلِ الفَجْرِ ذَاكٍ وَقُوْدُهَا

(٩١) الحماسة جـ ٤ ص ١٦٤٣.

نَـصَـبْـنَـا لَـه جَـوْفَـاءَ ذَاتَ ضَـبَـابَـةٍ
مِـن الـدُّهْـمِ مِـبْـطَانـاً طَـوِيْـلاً رَكُـودُهَـا

والضارب في متاهات الليل وفجاج الجزيرة تدفعه حاسة الاستشعار إلى أقرب ما يبحث عنه لكنه لا يجد طريقه إليه فيعوي كما تعوي الذئاب الضاريات عسى أن يسمع صوتاً يستجيب له (٩٢):

عَـوَى جَـرَسٌ، وَالـلَّيْـلُ مُـسْـتَـحْـلِسُ الـنَّـدَى
لِمُـسْـتَـنْـبِـحٍ بَـيْنَ الـرُّوَيْـثَـاتِ وَالحَـفْـرِ
فَـقَـالَ امْـرُؤٌ فُـوْهُ مـن الجَـوْعِ عَـاصِـبُ
أَلَمْ تَـسْـمَـعَـا نَـبْـحـاً بِـرَابِـيَـةِ الـنَّسْرِ
فَـشُـبَّـتْ لَـهُ نَـارَانِ: نَـارٌ بِـرَهْـوَةٍ
وَنَـارُ بَـنِي عَـبْـدِ المَـدَانِ لَـدَىٰ الـقَـهْـرِ
وشُـبَّـتْ لَـهُ نَـارُ ابْـنِ طَـمْـرٍ بَـدَا لَـهُ
سَـنَـاهَـا وَأَنَّى مِـنْـهُ نَـارُ بَـنِي طَـمْـرِ
فَـلاَ غَـرْوَ إلاَّ حِـيْنَ يَـضْـرِبُ مَـوْهِـنـاً
ـ لِـيُـوْقِظَ أَهْـلَ الـبَـيْـتِ ـ سَـالِـفَـةُ الـبَـكْـرِ

أو يقول الآخر (٩٣):

وَعَـاوٍ عَـوَىٰ وَالـلَّيْـلُ مُـسْـتَـحْـلِسُ الـنَّـدَىٰ
وَقَـدْ ضَـجِـعَـتْ لِـلْغُـورِ تَـالِـيَـةُ الـنَّـجْـمِ

(٩٢) ديوان مزرد بن ضرار الغطفاني ص ٤٩ .

(٩٣) البخلاء ص ٢٣٨ .

وماذا سيلقى الضيف بعد طول الليل وإجهاد السرى ذلك ما يجيب عنه حاتم الطائي في أبيات من أجمل ما وصفت به آداب الضيافة العربية إذ يقول(٩٤) :

قُـد وُرِيَ لِـلضَّـيْـفِ مَـنْـصُـوبَـةٌ   وَمَـا يَـنْـبَـحُ الـكَـلْبُ أَضْـيَـافِـيَـهْ
وَإِنْ لَمْ أَجِـدْ لِـنَـزِيْـلِ الـقِـرَىٰ   قَـطَـعْـتُ لَـهُ بَـعْـضَ أَطْـرَافِـيَـهْ

ويدعي أن للكلب عنده يداً يسديها إليه ويحفظها الجواد لهذا الحيوان الأليف وهي أنه يدل الضيف عليه ويهديه إليه فيقول(٩٥) :

تَـدُلُّ ضَـيْـفِـيْ عَـلَيَّ فِيْ غَـلَسِ الَّـ
لَـيْـلِ إِذَا الـنَّـارُ نَـامَ مُـوْقِـدُهَـا

ويعد نفسه مشفقاً على الضيف رفيقاً به لا يرضى أن يمنعه منه أحد ولا يـريد أن يعترض سبيله عارض حتى لو كان الكلب الذي درب على الحراسة وحماية الحي في الليل حين تنام الأعين وتسهر الكلاب للحماية فيقول(٩٦):

فَـنِـعْـمَ مَحَـلُّ الـضَّـيْـفِ لَـوْ تَـعْـلَمِـيْـنَـهُ
بِـلَيْـلٍ إِذَا مَـا اسْـتَـبْـشَـرَتْـهُ الـنَّـوَابِـحُ

ويزعم أن كلبه تخلق بطبيعة خاصة فصار جباناً لا يهر الغرباء ولا يبعدهم عن ساحته فتحـول حتى طبع الكلب وتبـدل تدريبـه من الحمايـة إلى الهدوء والاستئنـاس بالغـريب والضيف. والكلاب يطلب منها أن تكون شديدة العداوة للغريب تدافعه عن المنزل وتصول

(٩٤) ديوان حاتم الطائي ص ٢٥٤ .
(٩٥) ديوان حاتم الطائي ص ٢٦٥ .
(٩٦) ديوان حاتم الطائي ص ٢٥٠ .

عليه كلما حاول الاقتراب منه . أما كلب الجواد المضياف فليس كذلك لكنه جبان تأتي صفته في الأبيات التالية [٩٧] :

إِذَا مَـا بَـخِـيْـلُ الـنَّـاسِ هَـرَّتْ كِـلَابُـهُ
وَشَـقَّ عـلى الـضَّـيْـفِ الـضَّعِـيْـفِ عُـقُـورُهَـا
فَـإِنِّي جَـبَـانُ الـكَـلْبِ بَـيْـتِيَ مَـوْطِـأٌ
أُجُـوْدُ إِذَا مَـا الـنَّـفْسُ شَـحَّ ضَـمِـيْـرُهَـا
وَلَـيْسَ عـلى نَـارِيْ حِـجَـابٌ يُـكِـنُّـهَـا
لِمُـسْـتَـوبِصٍ لَـيْـلاً وَلَـكِـنْ أُنِـيْـرُهَـا

ويقول أيضاً [٩٨] :

بِـأَنِّي لَا يَهِـرُّ الـكَـلْبُ ضَـيْـفِـي
وَلَا يُـقْضَىٰ نَـجِـيُّ الـقُـوْمِ دُوْنِي

هذا نموذج من الشعر الذي جعل النار نبراساً للهداية يراها الأضياف فيفرحون بها أشد الفرح ، ومثلها نباح الكلب الذي لا ينام للحراسة ولجلب الضيف فيفخر الشاعر بأن كلبه جبان وناره موقدة وصدره رحب للضيافة لا يضيق بالقادمين إلى ضوء النار .

---

(٩٧) ديوان حاتم الطائي ص ٢٤٥ .
(٩٨) ديوان حاتم الطائي ص ٢٨٩ .

كيفية استقبال الضيف

الهيئة التي صور الشعراء فيها استقبال الضيف عند نزوله في الحي ذات وجهين:

الأول: الفخر بإكرام الضيف والاهتمام به وتقديم الطعام إليه وإحلاله محل النفس.

الثاني: الهجاء بتركه أو التهرب عنه ومحاولة الخلاص من حقه فيسلط الشاعر لسانه على من هذه صفاتهم ويعيرهم بهذه الخصال الذميمة وسيأتي من كلا الموضوعين شاهد.

لكن كتب الأدب تضيف إلى القرى صورة من صور حسن الاستقبال للضيف وحسن معاشرته وتقديم المساعدة المعنوية له أثناء نزوله في الحي، وقد عبروا عن هذه الأحوال بأعمال تدل على التهيئة النفسية للضيف حتى لا يشعر أنه طارىء أو أنه غريب أو غير مرغوب في بقائه واستمراره، فقد روي عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي أنه إذا نزل به ضيف أسرع عبيده إلى إنزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فإذا هَمَّ بالرحيل تخلوا عنه ولم يقربه أحد منهم وتجنبوه فإذا أنكر عليهم ذلك، قالوا: نحن إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعينه على الرحيل(٩٩). وقد جعلوا قرى الضيف واجباً وزادوا على ذلك الإكرام له، قيل للأوزاعي ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه.

ثم جعلوا خدمة الضيف بالنفس شرفاً لا يأباه أحد منهم مهما كانت مكانته في المجتمع فقالوا: أربع لا يأنف منهن أحد ولا ينبغي لشريف أن يأنف منهن وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم يتعلم منه، والسؤال عمّا لا يعلم ممن هو أعلم منه، وخدمة الضيف بنفسه إكراماً له(١٠٠). وفيما ينسب لعبد الملك بن مروان قوله: أربع لا يستحي من خدمتهم، السلطان والوالد والضيف والدابة(١٠١).

وليست وجبة الطعام التي يقدمها المضيف لضيفه هي كل ما عبرت عنه أدبيات

---

(٩٩) المستطرف جـ ١، ص ٣٥٨.

(١٠٠) الامتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٤.

(١٠١) المقتطف من أزهار الطرف ص ٢١٣.

الموروث الثقافي الذي وصف نزول الضيف وحالة استقباله وتحدث عنه فخصه بكم كبير من العناية والاهتمام. ولكنا نجد أن جانباً إنسانياً وأخلاقياً كريماً قد أثر عنهم وهو البشر بـه والبشاشة له عند رؤيته الأولى وكسر حاجز دهشة اللقاء بالترحيب. فالضيف وصف في الشعر بأنه غريب عن الحي غير معروف فيه يأتي فجأة لا تربطه بصاحب المنزل صلة ولا رابطة غير الضيافة فكان من حقه الذي أوجبه الأجواد على أنفسهم وألزموها به بشاشة اللقاء وإشراق الوجه عند رؤيته وإظهار السرور والحفاوة بالطارق حتى يأنس وتهدأ نفسه بقربهم وتطمئن إليهم فيشعر بالأمان، وهم يعدون تلك الخصال جزءاً من القرى وتعبيراً عن سماحة أخلاقهم وتصديقاً لمروءتهم. فأجادوا في إظهار جانب اللطف ودماثة الخلق وجعلوها من مقومات الضيافة وأدب المضيف فألمَّ بها الشعراء، وذكروا حسن الاستقبال حتى تزول كزازة الغربة ووحشة الضيف واتسعت دائرة الحديث عن لحظات الرؤية الأولى. وزعموا أن من إتمام القرى ألا يقابلوا الضيف متجهمين ولا عابسين يقول الأخطل(١٠٢) :

وَإِنِّي لَحَلَّالٌ بِيَ الحَقُّ أَتَّقِي
إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَهَّمَا

أما حاتم الطائي فيصور حبه للضيف وتعبيره عن السرور بمقدمه ويزعم أن القرى لا يكفي وحده ولو قدموا له كل شيء إنما القرى الحقيقي هو طلاقة وجه الكريم وتعبيره المشرق عند استقبال الضيف وترحيبه به ذلك هو الخصب المعنوي والأدب الأخلاقي الذي يقرره الشاعر ويفخر به في الأبيات التالية(١٠٣) :

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ
وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالمَحَلُّ جَدِيبُ

(١٠٢) ديان الأخطل ص ٦٠٠.

(١٠٣) ديوان حاتم الطائي، ص ٣٠٩.

وَمَا الخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرَى
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الكَرِيْمِ خَصِيْبُ

ويرد المعنى نفسه عند عدد من الشعراء أو يجود به الرواة على عدد منهم فيبرزون ملامح البشاشة والترحيب بالضيف والإيثار له واللطف، وأخذه بالرفق وإلهائه حتى لا يشعر بالانعزال أو الغربة وصحبته في الإقامة ومسامرته في الليل ومشاركته فيما يجلب السرور إلى نفسه وهذا عروة بن الورد يقول (١٠٤) :

فِرَاشي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالبَيْتُ بَيْتُهُ (١٠٥)
وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَدِيْثَ مِن القِرَى
وَتَعْلَمُ نَفْسي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

ويكرر مسكين الدارمي (١٠٦) البيتين أنفسهما، إلا أن بدايتهما:

طَامي طعام الضيف والرحل رحله . . .

وله أيضاً (١٠٧) :

وَإِنِّي وَالأَضْيَافُ في بُرْدَةٍ مَعاً
إِذَا مَاتَ نِصْفُ الشَّمْسِ وَالنِّصْفُ يَنْزِعُ

والمعنى إياه يورده الرواة لطفيل الغنوي وينسبون إليه البيتين التاليين (١٠٨) :

---

(١٠٤) ديوان عروة بن الورد ص ٦٥ .

(١٠٥) أعرف من عادات بعض العرب في الوقت الحاضر أنه إذا نزل بالرجل منهم الضيف شاركه طعامه وبقي معه يسامره ويرافقه ولا يترك ملازمته ليلاً أو نهاراً ما دام مقيماً عنده حتى لا يشعر بالملل والوحدة.

(١٠٦) ديوان المسكين الدارمي ص ٥١ .

(١٠٧) ديوان مسكين الدارمي ص ٥١ .

(١٠٨) ديوان طفيل الغنوي ص ١٠٣ .

لِجَافِي لِحَافُ الضَّيْفِ وَالبَيْتُ بَيْتُهُ
وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ إنَّ الحَدِيْثَ مِن القِرَى
وَتَكْلأُ عَيْنِيْ عَيْنَهُ حِيْنَ يَهْجَعُ

والأبيات الأخيرة في معنى واحد وعلى بحر واحد وروي واحد وقد نسبت إلى أكثر من شاعر من شعراء العربية كل منهم حاز فضلها وأضيفت إليه، ولا يهم الباحث صحة نسبتها لواحد منهم أو لآخر وإنما المهم معناها الذي تواردَه الشعراء وأضافه الرواة لهم، والتجاذب العام للأبيات عند النقلة، وكلها تقرر شيئاً واحداً متفقاً على استحسانه عند الناس وهو الحديث والبشاشة وطلاقة الوجه ومسامرة الضيف، وهو القرى الحقيقي في رأيهم. وما تنازع الشعراء فيهن أو الرواة لهن إلا لما يجدون من إشاعة السماحة وقرب التقبل. وكل عربي يحب أن يجد في نفسه ما وصفته الأبيات عندما يستقبل الضيف أو عندما يحل هو ضيفاً على أحد فيحسن الاستقبال ويلقي مثله، وليس هناك ما يمنع أن يكون كل من الشعراء قد عبر عن الخاطرة نفسها لأن هذا الإحساس شعور مشترك يتكلم به الإنسان باللغة التي يستطيع وإن لم تكن لغة الشعر ويدركه في وجدانه فيأتي على لسانه طبعاً لا تكلف فيه، إلا أن التطابق التام بين الأبيات المذكورة تقلل من احتمال توارد الخواطر العفوية ومصادفة توافق الإحساس الشخصي، وتشير إلى خلط الرواة وأخطاء الجماع ويبقى الشاهد عندنا هذه الروح التي تليق بشهامة العرب وسخائهم وحوافز البذل في وجدانهم ولذا تم قبول الشعر وتداول الناس المعنى بغض النظر عن شخصية الشاعر وحقيقة نسبته إلى أي منهم.

علاقة الكرم بظروف البيئة

محور الحديث في كل ما مرَّ هو القرى والضيف والجود له والبراءة من شائبة البخل عليه. إذ يعلن الكريم أنه يجود بماله ويدفعه ولو كان بحاجة إليه ويطلبه الضيف الذي يسعى إلى فضل الأجواد وأهل السخاء فيجد عندهم ما يعينه على مواصلة الرحلة ومشقة الطريق والحديث عن القرى هو العوض المعنوي الذي يزعم الشاعر أن الجواد يأخذه مقابل ما يقدم للأضياف كما يظهر الفخر الجامح بالخلق الكريم ويعظم تضحيته ويزعم أنه يقدم للضيف حين يراه حاجته من طعام ولحاف ومسامرة حسنة واستقبال باش.

والسؤال الكبير الذي يجب أن يسأل هو هل يتناسب كل هذا الفخر والمدح مع تقديم وجبة طعام لغريب جائع وطارق مجهود؟ إن الشاعر الذي يملأ الصحائف بالشعر عن كرم الضيافة وعن قيامه بحق الضيف ثم مبالغته بما قدم لا بد أنه يعرف بعداً اجتماعياً ألجأه إلى الحديث عن سخائه وسوغ مبالغته في ذكر الضيافة وما يترتب عليها من تكاليف صعبة وإن كانت في نظر البعيدين عنها هينة صغيرة عند من لا يعرف شدة الحاجة إليها. ولا يمكن أن يتصور تلك الحاجة والشدة من يقرأ الشعر وهو خارج الجزيرة وبعيد عن حياتها وبيئتها. أما من عاش الحياة الصحراوية وعرف قسوتها وأدرك انقطاع سكانها في فجاج واسعة من الأرض لا تجود بالكثير من الخير بل قد لا تجود بشيء في بعض الظروف فإنه هو الذي يقوِّم صراع الأجواد وفخر الفاخرين. ويدرك أهمية القرى وما يترتب على ذلك من ضرورة تجعل مبالغة العرب مقبولة. فهم يعيشون الكفاف في الصحراء القاحلة وليسوا في بيئات الخصب وضفاف الأنهار. وإذا كان تقديم وجبة طعام لضيف طارق لا تستاهل كل ما يقال عنها في نظر من يقرأ الشعر في غير زمنه وبيئته فستعرض الدراسة بعض الأبيات التي تبين شدة الفقر وتجسم المأساة التي يعيشها الناس وتسوغ الأمر الذي حدا بالعرب إلى أن يمجدوا من يتميز فضله في القُرى واستقبال الضيف فيكبر في نفوسهم ويعظم قدره عندهم ويصبح ممدوحاً

مبجلاً لا ينازعه أحد إلا أن يفعل كفعله حتى يفوقه أو يصير مثله. وهذا حاجز ابن عوف الأزدي يصف شدة الحياة وقلة الخير فيها فيقول (١٠٩) :

سَلِيْ عَنِّي إِذَا اغْبَرَّتْ جُمَادَىٰ
وَكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثُّمَامَا
أَلَسْنَا عِصْمَةَ الأَضْيَافِ حتى
يُضَحِّي مَالُهُمْ نَفَلاً تُؤَامَا
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيْتِ عَنَّا
إِذَا لَمْ تَغْبِقَ المِائَةُ الغُلاَمَا

إن ما يصف حاجز في أبياته هنا هو السبب الذي جعل النادر من القوم قادراً على مقاومة اللأواء والشدة، فمائة من الإبل لا تروي الطفل لما أصابها من محل وهزال وضعف والإبل هي عماد حياتهم وقوام معاشهم فكم يحتاج أهل البيت منها ليعيشوا على ألبانها. وحاجز يحدد الظرف الذي يحسن فيه الجود ويختار الشدة المسغبة موضعاً لجوده ومكاناً لفخره. إن أيام الجدب الكادح هي أكثر أيام الجزيرة العربية وقد يلجأ ساكنوها إلى أن يأكلوا الأشجار وخشاش الأرض حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة.

أما عمرو بن أحمر الباهلي فالممدوح عنده هو ذاك السيد الجواد الذي يكون جوده وكرمه في وقت الحاجة واشتداد الأزمة عندما لا يستطيع الرجل أن يعول أولاده فضلاً عن الضيف. في هذا الحال يتميز الجواد ويصبح الكريم ملجأ الضيف لا يصد عنه ولا يحرمه فيقول (١١٠) :

غَطَارِفُ لاَ يَصُدُّ الضَّيْفُ عَنْهُمْ إِذَا مَا طَلَّقَ البَرِمُ العِيَالاَ

(١٠٩) قصائد جاهلية نادرة ص ٨٣.

(١١٠) ديوان عمرو بن أحمد الباهلي ص ١٣١.

وشبيب بن البرصاء يقيم صراع الحياة على قسوة الطبيعة وقلة ما تجود به فيظهر التحدي على الرغم من مواجهة الفقر والجوع والخوف منهما فيقول (١١١)

لَقَدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِي
إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ
وَإِنِّي لَأُغْلِي اللَّحْمَ نَيْئاً وَإِنَّنِي
لَمِمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهْوَ نَضِيْجُ
إِذَا المُرْضِعُ العَوْجَاءُ بِاللَّيْلِ عَزَّهَا
عَلَى ثَدْيِهَا ذُو وَدْعَتَيْنِ لَهُوجُ
إِذَا مَا ابْتَغَى الأَضْيَافُ مَن يَبْذُلُ القِرَى
قَرَتْ لِي مِقْلَاتُ الشِّتَاءِ خَدُوجُ

إن الحي الذي لا تجد فيه المرضع المرمل الطعام لنفسها أو طفلها، ويطرقه الضيف ثم لا يحرم ولا يعتذر له وإنما يقدم الرجل على آخر ما يملك وهي الناقة التي هي عماد حياته فينحرها ليطعم ضيفه والحي معه، ذلك إقدام يستحق الثناء والإشادة بفضله ويحق له أن يفخر بنفسه وبفعله ويحق لغيره أن يمدحه ويشيد به لتبقى مسالك الجود مطروقة وحياضه مترعة موروده. وليس العوز هو المثبط الوحيد لعامة الناس عن القرى لكن ليالي الشتاء الباردة وجوها المكفهر عامل تثبيط آخر، والمحافظ على مشارع المروءة يتجاوز المثبطات ويتجاوب مع متطلبات التقاليد والعادات فيقول الأخطل (١١٢):

فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ
سَحَابَةُ مُسْوَدٍ مِنَ اللَّيْلِ أَظْلَمَا

(١١١) الكامل، جـ ١، ص ١٩٢، وشعر شبيب بن البرصاء مجموع مع شعره شعراء أمويون ص ٢٢٤.
(١١٢) ديوان الأخطل ص ٥٩٩.

وَفِي لَيْلَةٍ مَا يَنْبَحُ الكَلْبُ ضَيْفَهَا
إِذَا نُبِّهَ المَبْلُودُ فِيهَا تَغَمْغَمَا

وفي موضوع الحاجة والحديث عنها وعن الإعدام حين لا يجد المرء شيئاً يقري به الضيف ولا يجد الضيف سعة في احتمال الجوع إلى أن تنفرج المأساة، وفي وصف الكربة التي تمر على الإنسان فلا يستطيع القيام بالواجب ولا الاعتذار عن التقصير، فيبهت أمامها. نجد أن الشعر العربي حفظ لنا قصيدتين تشرح كل منهما أبعاد الصورة القاتمة والظلمة الخرساء في بعض الظروف التي يكون الخروج من حلقات البؤس فيها معجزة تستحق التسجيل بحروف من نور وسطور من صحائف التاريخ لا يمحوها الزمن ولا تخلولق مع مرور الأيام. وقد أدرك النقاد كل أبعاد الواقع الاجتماعي وشرحوا ظروف المفارقة في البذل والعطاء وقوموا العمل بظروف حدوثه ولم ينقلوه إلى غير موضعه من التاريخ، وعدوا من جاد بشربة ماء أجود أجواد العرب وخلده بذله الشربة ولم يختلف اثنان على عظمة جوده برطل ماء لكنه رطل كان ثمنه الحياة كلها، حياة الجواد الذي قدمها قرباناً للمروءة والكرم والتضحية حتى بقي مع الخالدين. ووجبة الطعام في بعض الظروف وفي بعض الأزمات تساوي الحياة كلها.

أما القصيدتان: .

فأولهما قصيدة الحطيئة المشهورة التي وشحها خيال مبدع، تصور موقف التأزم الإنساني في لحظات حرجة تصل بالمرء حدَّ الاختناق والموت كمداً ثم تتحرك في النفس الكريمة طبيعة الثبات وجبلّة والصمود في معدنه، ويحدث الصراع الطبيعي بين الإذعان للواقع والانهزام أمام الأزمات الحادة والمواقف الطارئة في حياته وبين المواجهة التي قد تعرض نفسه للخطر وواقعه لضروب من الابتلاء قد ينجح فيها وقد يفشل أمامها. ولأن قصيدة الحطيئة من نسج خياله الذي أبدع فيها كل الإبداع فإن الصراع فيها سينتهي نهاية تتفق مع تصميم العقل العربي على مواجهة أزمة الطبيعة التي يصارعها والانتصار عليها لأنها نتيجة حتمية للتصور والشعور الإرادي ولذلك كانت النهاية عند الحطيئة نهاية سعيدة

محكومة بتصور مثالي للحياة يحقق الانتصار المطلوب على قسوة الطبيعة. فأنهى القصيدة كما يجب أن تكون النهاية السعيدة في العقل العربي (١١٣):

وَطَـاوِي ثَـلاَثٍ عَـاصِـبِ الـبَـطْنِ مُـرْمِـلِ
بِـتَـيْـهَـاءَ لَمْ يَـعْـرِفْ بِهَـا سَـاكِـنٌ رَسْـمَاً
أَخِـي جَـفْـوَةٍ فِـيْـهِ مِـنَ الإنْسِ وَحْـشَـةٌ
يَـرَى الـبُـؤْسَ فِـيْـهَـا مِـنْ شَرَاسَـتِـهِ نُـعْـمَـى
وَأَفْـرَدَ فِي شِـعْـبٍ عَـجُـوْزاً إِزَاءَهَـا
ثَـلاَثَـةُ أَشْـبَـاحٍ تَخَـالُهُـم بُهْـماً
حُـفَـاةٌ عُـرَاةٌ مـا اغْـتَـذُوا خُـبْـزَ مَـلَّةٍ
وَلَا عَـرَفُـوا لِـلْبِرِّ مُـذْ خـلِقُـوا طَـعْـمَا
رَأَى شَـبَـحـاً وَسْطَ الـظَّلَامِ فَـرَاعَـهُ
فَـلَمَّا رَأَى ضَـيْـفـاً تَـسَـوَّرَ وَاهْـتَـمَّا
فَـقَـالَ ابْـنُـهُ لَمَّـا رَآهُ بِـحَـيْـرَةٍ
أَيَـا أَبَـتِ اذْبَـحْـنِي وَيَسِّرْ لَـهُ طَـعْـماً
وَلَا تَـعْـتَـذِرْ بِـالـعُـدْمِ عَـلَّ الـذي طَـرَا
يَـظُنُّ لَـنَـا مَـالاً فَـيُـوسِـعَـنَـا ذَمَّـا
فَـرَوَّى قَـلِيْـلاً ثُـمَّ أَحْـجَـمَ بُـرْهَـةً
وَإِنْ هُـوَ لَمْ يَـذْبَـحْ فَـتَـاهُ فَـقَـدْهَمَّـا
وَقَـالَ: هَـيَـا رَبَّـاهُ ضَـيْـفٌ وَلَا قِـرَى
بِـحَـقِّـكَ لا تَحْـرِمْـهُ تَـالـلَّيْـلَةَ الـلَّحْـمَا

(١١٣) ديوان الحطيئة ص ٣٣٧.

فَـبِـيْـنَـاهُـمَـا عَـنَّـتْ عـلى الـبُـعْـدِ عَـانَـةٌ
قَـدْ انْـتَـظَمَـتْ مِـنْ خَـلْفِ مِـسْـحَـلِهَـا نَـظْماً
عِـطَاشَـاً تُـرِيْـدُ المَـاءَ فَـانْـسَـابَ نَـحْـوَهَـا
عـلى أَنَّـهُ مِـنْـهَـا إِلىٰ دَمِـهَـا أَظْـمَا
فَـأَمْـهَـلَهَـا حَـتَّى تَـرَوَّتْ عِـطَاشُـهَـا
فَـأَرْسَـلَ فِـيْـهَـا مِـن كِـنَـانَـتِـهِ سَـهْـماً
فَـخَـرَّتْ نُـحُـوصٌ ذَاتُ جَـحْشٍ سَـمِـيْـنَـةٌ
قَـدْ اكْـتَـنَـزَتْ لَحْـماً وَقَـدْ طُـبِّـقَـتْ شَـحْـماً
فَـيَـا بِـشْـرَهُ إِذْ جَـرَّهَـا نَـحْـوَ قَـوْمِـهِ
وَيَـا بِـشْـرَهُـمْ لَمَّـا رَأَوْا كَـلْمَـهَـا يَـدْمَـىٰ
فَـبَـاتُـوا كِـرَامـاً قَـدْ قَـضُـوا حَـقَّ ضَـيْـفِـهِـم
فَـلَمْ يَـغْـرُمُـوا غُـرْمـاً وَقَـدْ غَـنِـمُـوا غُـنْـماً
وَبَـاتَ أَبُـوهُـمْ مِـن بَـشَـاشَـتِـهِ أَبـاً
لِـضَـيْـفِـهِـمُ وَالأُمُّ مِـن بِـشْـرِهَـا أُمَّـا

أوردت القصيدة كاملة لبنائها الفني وارتباطها العضوي ولبيان الهاجس النفسي الذي جسده خيال الشاعر وقد أملت العادة الاجتماعية عليه القصة في كل تفاصيلها مع رسم كامل للجو العام الذي جعله مسرحاً لأحداث قصته، وأهمها تصوير عوز هؤلاء البائسين الفقراء الحفاة العراة في فج منقطع من الأرض لا يجدون الطعام لأنفسهم ولم يعرفوا الانس بالبشر ولا التعامل مع الناس، وترك للقارىء التخمين فيما عسى أن يكونوا قد عاشوا عليه من الطعام. ومع كل ما رسم من صور مأسوية في حياة هؤلاء إلا أن الضيف الذي باغتهم في ليلهم الدائم نبه فيهم همّاً آخر وحرك في الأسرة المنكوبة جبلة العربي وخلقه، فالطعام للضيف لا بد منه والقرى لا مندوحة عنه حتى ولو بلغ بهم الأمر بتقديم أحدهم طعاما له

خروجاً من العار إن لم يجدوا غيره حيلة يطعمون بها ضيفهم، فجاءت القصيدة تحمل التأزم النفسي الحاد، الذي حاق بهم برهة من الزمن بلغت حدَّ التمزق. ثم لاحت ملامح الانفراج حين ظهر أمام عينهم قطيع من حمر الوحش تتقدم إلى مورد الماء في غلس الليل فكانت الضحية من هذا القطيع وكان القرى لضيفهم والشبع لأنفسهم.

أما القصيدة الثانية أو القصة الثانية فتأتي على لسان الشاعر الراعي النميري وهي لوحة واضحة التعبير مكتملة الملامح قائمة الأبعاد، وهي ليست خيالاً يصنعه الشاعر وتشكله عواطف الشعراء كسابقتها ولكنها حقيقة واقعة ومعاناة شخصية يعرف الرواة ظروف حدوثها ومناسبتها فبدأت القصيدة (١١٤):

عَجِبْتُ من السَّارِيْنَ والرِّيْحُ قَرَّةٌ
إلىٰ ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ والرَّحىٰ
إلىٰ ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي القِدَّ أَهْلُهَا
وَقَدْ يُكْرَمُ الأَضْيَافُ وَالقِدُّ يُشْتَوىٰ
فَلَمَّا أَتَوْنَا وَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهُمُ
بَكَوْا وَكِلاَ الحَيّينِ مِمَّا بِهِ بَكَىٰ
بَكَىٰ مُعْوِزٌ من أَنْ يُلاَمَ وَطَارِقٌ
يَشُدُّ من الجُوعِ الإِزَارَ على الحَشَا
فَألْطَفْتُ عَيْنِيْ هَلْ أَرَى من سَمِيْنَةٍ
وَوُطِّنْتُ نَفْسِيْ لِلْغَرَامَةِ وَالقِرَىٰ
فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذاتَ عَرِيْكَةٍ
هِجَاناً من اللاَّئِي تَمَتَّعْنَ بِالصُّوَىٰ

(١١٤) ديوان الراعي النميري ص ١.

فَـأَوْمَـأْتُ إِيْمَـاءِ خَـفِـيـاً لِحَـبْـتَرٍ
وَلِـلَّـهِ عَـيْـنَـا حَـبْـتَرٍ أَيُّمَـا فَـتَىٰ
وَقُـلْتُ لَـهُ أَلْـصِـقْ بِـأَيْـبَسِ سَـاقِـهَـا
فَـإِنْ يَجْـبُرِ الـعُـرْقُـوبُ لا يَـرْقَـأُ الـنَّـسَـا
فَـأَعْـجَـبَـنِي مـن حَـبْـتَرٍ أَنَّ حَـبْـتَـراً
مَضَى غَـيْرَ مَـنْـكُـودٍ وَمُـنْـصُـلُهُ انْـتَضَىٰ
كَـأَنِّي وَقَـدْ أَشْـبَـعْـتُـهُـمْ مـن سَـنَـامِـهَـا
جَـلَوْتُ غِـطَاءٍ عـن فُـؤَادِيَ فَـانْـجَـلَىٰ
فَـبِـتْـنَـا وَبَـاتَـتْ قِـدْرُنَـا ذَاتَ هِـزَّةٍ
لَـنَـا قَـبْـلَ مَـا فِـيْـهَـا شَـوَاءٌ وَمُـصْـطَلَىٰ
وَأَصْـبَـحَ رَاعِـيْـنَـا بُـرَيْمَـةُ عِـنْـدَنَـا
بِـسِـتِّـينَ أَنْـقَـتْـهَـا الأَخِـلَّةُ والخَـلا
فَـقُـلْتُ لِـرَبِّ الـنَّـابِ خُـذْهَـا ثَـنِـيَّـةً
وَنَـابٌ عَـلَيْـهَـا مِـثْـلَ نَـابِـكَ فِي الحَـيَـا

لقد صور الراعي بؤس الحياة وقسوة الطبيعة ووحشة الصحراء ومبلغ الفقر في بعض الظروف حين يحطم الإنسان ويبيد قدرته فهؤلاء ركب يضربون في مفازات الأرض في ليلة شاتية باردة وقد أضرَّ الجوع بهم وبلغ بهم كل مبلغ فلجأ كل منهم إلى حجر صلد وشده على بطنه لتخفيف ألم الجوع وإسكان اضطراب الأمعاء الخاوية وبينما هم في حالهم تلك لاحت لهم نار تشب في ظلام الليل فاتجهوا إليها مسرعين. ولم تكن تلك النار لإقراء الضيف ولا طهي الطعام وإنما أوقدها حي نفد كل ما يقوتون به أنفسهم ولم يجدوا إلا الجلود اليابسة يشوونها فيأكلونها ليقيموا أودهم. وما أعظم خيبة الركب وما أعظم مصيبة أهل الحي خوف العار والفضيحة إن لم يقروا الضيف فيقون أعراضهم الشتم والهجاء، فبكى الركب من

شدة الجوع ومرارة المسغبة وبكى أهل الحي خوف العار والفضيحة إن لم يخرجوا من أزمتهم بمخرج يقيهم الشتم واللوم.

بَكَى مُعْوِزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ
يَشُدُّ مِنَ الجُوْعِ الإِزَارَ على الحَشَا

ولكي يخرج من مأزق الواقع الذي فرض عليه اختلس النظر إلى ركاب الضيف فرأى ما ينهض بالحاجة العاجلة فأمر بنحر إحداها لهم على أن يقوم بالعوض مضاعفاً في الوقت المناسب وماذا عليه عندما يضمن لصاحب الناب كما يقوب ناباً حاضرة وناباً أخرى بعد حين.

إنها الحاجة التي تأتي بحلولها التلقائية فتضطر الكريم إلى التصرف السريع وماذا عليه بعد ذلك وإن كان المغرم عظيماً. وقد سلم الراعي من هجاء الضيف ولكنه لم يسلم من هجاء بني عمه الذين عيروه بعقره ناقة ضيفه. فأفحمهم وأسكتهم وأمتنَّ عليهم بأنه قرى أمهم مع ضيفه. وأخبرهم بالعوض الكبير والثمن الرابح الذي قدمه لصاحب الجزور(١١٥):

وَمَاذَا ذَكَرْتُمْ من قَلُوْصٍ نَحَرْتُهَا ... بِسَيْفِيْ وَضِيفَانُ الشِّتَاءِ شُهُودُهَا
فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا ... فَرَاحَ على عَنْسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا
قَرَيْتُ الكِلَابِيَّ الذي يَبْتَغِيْ القِرَى ... وَأُمَّكَ إِذْ تَخْدِيْ إِلَيْنَا قَعُودَهَا
رَفَعْنَا لَهَا نَاراً تُثَقَّبُ للقِرَى ... وَلَقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيْلاً رُكُودُهَا

إن المتأمل في هاتين القصيدتين يدرك قيمة الفخر الذي أظهره العرب في الكرم ويعرف ما وراءه وليس أبلغ في وصف حياتهم منهما فالوجبة تعادل الحياة وتساوي قناطير الذهب، وماذا يفعل من لا يجد الطعام حتى لو ملك الدنيا إذا كان لا يتوفر فيها ما يقيم حياته من أسباب البقاء. فالمال قيمته بسداد الحاجة وإنفاقه بالمعروف ولولا ذلك لاستوى

---

(١١٥) ديوان الراعي النميري ص ٩١.

حال الأغنياء والفقراء ولم يوجد سبب للاستمتاع بفضول المال، وجزيرة العرب ليس فيها بخل لكن فيها عوز وفقدان للشيء يجعل أجود الناس في بعض المواقف أشد البخلاء لا بطبعه بل بطبيعة الصحراء التي لا تهبه شيئاً يجود به أو ينفقه فيبقى بخيلاً رغم أنفه كما وصفها الصمَّة القشيري(١١٦):

لَحَـا الـلَّهُ نَـجْـداً كَـيْـفَ يَـتْـرُكُ ذَا الـنَّـدَى
بَـخِـيْـلاً وَحُـرَّ الـقَـوْمِ تَحْـسَـبُـهُ عَـبْـدَا

إن البخل ليس من طبيعة العرب ولكنه من ضرورات حياة بلادهم وإذا بخلت وقلَّ خيرها واستطاع المرء أن يتغلب على بخلها وشح مواردها حق له الفخر بما فعل وحق لغيره مدحه وذكر مآثره ولولا هاتان الخصلتان لما اقتحم الجواد المتاعب ومشقات الحياة وصعوبات الطبيعة التي لا تقهر في بعض الأحيان إلا بذهاب النفس والمال معاً.

---

(١١٦) ديوان الصمّة القشيري ص ٦٠.

خدمـــة الضيـــف

أما الملمح الثاني بعد عملية استقبال الضيف والبشاشة له فهو خدمته بعد وصوله وبعد نزوله في الحي وقد مرَّ في مقدمة البحث من مأثور العرب عن خدمة الضيف شيء يدل على اهتمامهم به وأنها شرف يقوم به كل منهم كائناً من كان. ولا بد أن يكون للشعر رأيه في المعنى المأثور عندهم. وللشعراء مواقفهم من الضيف وخدمته والعناية به عندما يحل فيهم ويصبح مقيماً في حيهم وقد وجدنا الشعراء يعطون هذا الجانب حقه من الاهتمام ويوشحونه بلغة عاطفية جميلة ويرون أن خدمته مبلغ الكرم وأن حبهم له مبعث فخرهم فيقول هذلول بن كعب العنبري(١١٧):

لَعَمْرُ أَبِيْكَ الخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ
لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ
وَإِنِّي لأَشْرِيْ الحَمْدَ أَبْغِيْ رَبَاحَهُ
وَأَتْرُكُ قِرْنِي وَهْوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ

أما صاحب الأغاني فينسب شعراً إلى سيد تميم قيس بن عاصم وهو من هو في قومه تميم، سيادة ومروءة، وشعراً أيضاً. يفخر بخدمة الضيف ويقول(١١٨):

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي البُرْدَيْنِ وَالفَرَسِ الوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِيْ لَهُ
أَكِيْلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

(١١٧) الحماسة ص ٧٠٠.
(١١٨) الأغاني، جـ ١٤ ص ٦٨.

أخــاً طَــارِقــاً أوْ جَــارَ بَــيْــتٍ فَــإنَّــنِي
أخَــافُ مَــلاَمَــاتِ الأَحَــادِيْــثِ مِــن بَــعْــدِي
وَإنِّي لَــعَــبْــدُ الــضَّــيْــفِ مــن غَــيْرِ ذِلَّــةٍ
وَمَــا بِي إلاَّ تِــلْكَ مِــنْ شِــيَــمِ الــعَــبْــدِ

وعند المقنع الكندي مثله(١١٩):

وَإنِّي لَــعَــبْــدُ الــضَّــيْــفِ مَــا دَامَ نَــازِلاً
وَمَــا شِــيْــمَــةٌ لِيْ غَــيْــرَهَــا تُــشْــبِــهُ الــعَــبْــدَا

وهدبة بن الخشرم العذري يصف القيام على أضيافه وحنانه عليهم ولطفه بهم فيقول(١٢٠):

يُــنَــفِّضُ عَــنْ أضْــيَــافِــهِ مَــا يَــرَىٰ بِهِــمْ
رَحِــيْــمَــانِ سَــاعٍ بِــالــطَّــعَــامِ وَلاَحِــفُ
كَــأنْ لَمْ يجِــدْ بُــؤْســاً وَلاَ جُــوْعَ لَــيْــلَةٍ
وَفِيْ الخَــيْرِ وَالمَــعْــرُوفِ لِــلضُّرِ كَــاشِــفُ

ويصف جرير المعنى المطروق للشعراء في خدمة الضيف وإكرامه وتحسس حاجاته فيقول(١٢١):

كَــمْ قَــدْ نَــزَلْــتُ بِــكُــمْ ضَــيْــفــاً فَــتُــلْحِــفَــنِيْ
فَــضْــلَ الــلِّحَــافِ وَنِــعْــمَ الــفَــضْــلُ يُــلْتَحَــفُ

---

(١١٩) بهجة المجالس ص ٢٩٩ .

(١٢٠) شعر هدبة بن الخشرم ص ١٢٣ .

(١٢١) ديوان جرير ص ١٧٤ .

ويقول شبيب بن البرصاء: إن لذة النوم وغشيان النعاس لعينه لا تمنعه من إجابة الضيف والقيام مسرعاً لاستقباله[١٢٢]:

لَقَدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِيْ
إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ

ويجعل الراعي النميري الضيف والبنين الأصاغر عنده في منزلة سواء، يقوم عليهم ويعتني بهم ويشبه عنايته بالضيف بعنايته بأبنائه الصغار فيقول[١٢٣]:

بِجُرْدٍ عَلَيْهِنَّ الأَجِلَّةُ سُوِّيَتْ بِضَيْفِ الشِّتَاءِ وَالبَنِيْنَ الأَصَاغِرِ

(١٢٢) النوادر ص ١٨٠.

(١٢٣) ديوان الراعي النميري ص ١٣٤.

على من تجب الضيافة

لا بد والبحث يسوق الحديث عن مجمل صورة الضيافة العربية أن نعرج على تعدد حالات الضيافة ومكانها والقائمين عليها، وقد أجمعت النصوص على فردية الضيافة، وقيام رب المنزل بواجب الضيف وحده دون أن يستعين على ذلك بأحد أو يطلب المساعدة في ما يقدم من قرى الأضياف مهما كانت الحاجة إلى عونهم ولم يعرف أو لم نعرف نحن من عاداتهم، القرى الجمعي في الجاهلية إلا في حالة واحدة هي الرفادة وهي مأثرة من مآثر قريش خاصة عرفت فيهم دون غيرهم من أحياء العرب وقبائل الجزيرة، والرفادة كانت في أصلها تقديم الطعام للحجاج أو ضيافة الحاج في الموسم وكانت واجبة على أهل مكة بصفتهم أهل الحرم أو أهل الله كما تقول العرب. ومن الطبيعي أن لا ينهض مال لأحد من قريش بضيافة الحجاج ولن يفي كل قرشي في مكة بواجب الضيافة الخاصة أو الفردية، فألجأتهم الحاجة إلى أن يحتالوا للأمر فاجتمعوا على رأي أكسبهم الثناء والاحترام عند العمار والحجاج ورفع من شأن قريش في نفوس الناس إذ أجمعوا على الرفادة وهي أن يخرج كل رجل منهم مالاً بقدر طاقته فيجمعون المال كله في يد أحدهم فيشتري به للحجاج الجزر والطعام والزبيب والنبيذ فيسقون الناس ويطعمونهم حتى تنقضي أيام الموسم(١٢٤). وجعلوا من يقوم على الرفادة أشرف بيوت قريش.

ولم يذكر عن العرب ولا في عاداتهم أنهم يقبلون عوضاً عما يقدمون للضيف من ضروب الإكرام والقرى مهما كان المضيف فقيراً، وهم يعدون فعل ذلك منقصة ولؤماً يعير به من يحاول تعويض العربي عما قدم لضيفه من الطعام(١٢٥). وقد يكون الضيف غنياً والمضيف فقيراً فيتحمل الفقير مؤنة الضيف الغني، وقد روت العرب في بعض قصص الضيافة أن وفداً من وجهاء قريش كانوا في الطريق إلى الشام فاضطروا للتوقف عند عربي لا

(١٢٤) لسان العرب مادة «رفد».

(١٢٥) انظر كتاب الكرماء ص ٢٥.

يملك إلا عنزاً وله زوجة وبنات يقتاتون لبن العنز فقام إليها وذبحها لضيوفه على الرغم من اعتراض زوجته وتهديدها بهلاك بناته إن فعل، فكان رده أن الموت أهون من حرمان الضيف أو البخل عليه، وقد تكون الحاجة والفقر أقوى من حيلة العربي الجواد ولهذا السبب جاء المثل «لم يحرم من فصد له»(١٢٦) والمثل يتفق مع الأعراف العربية في الضيافة وهو أن الضيف لا بد أن ينال قرى مهما كان قليلاً إذا حلَّ في حي من الأحياء. وعندما لا يجد رب المنزل ما يقدم له البتة في البيت ولا توجد السائمة التي يطعمه لحمها. فإنه يعمد إلى راحلة الضيف وهو لا يملكها ولا يستطيع ذبحها فيفصد عروقها ويستخرج بعض دمها فيطبخه للضيف تعذيراً بإطعامه وأنه لم يحرم. وقد كان هذا عندهم في الجاهلية حتى حرم الإسلام الفصيد والدم. وقد ينحر ناقة الضيف له فيطعمه لحمها ويعده العوض بعد ذلك كما مضى في النصوص الشعرية. وقد بدأت الصورة المشرقة والمثالية المتناهية تغطي جانباً من الشعر ويقدم الشعراء كماً كثيراً من المدائح لأنفسهم وللآخرين على ضوء الدلالة الاجتماعية لقرى الأضياف والقيام بخدمتهم. وهي الوجه الأول الظاهر في الآداب العربية والفخر العربي والمعنى الذي تؤكده المعارف ويعززه الشعر ويرشحه في الأذهان الاتفاق على تقديس الكرم واحترام خصال المروءة.

أما الصورة الأخرى فستوجدها الضرورة عندهم وتعرف في آدابهم وينظر إليها من زاوية أخرى ضيقة مظلمة متوارية تلك هي صورة الشح والبخل والحرمان للضيف، وهي صورة سوداء كالحة في نظر العرب وفي وصف الشعراء، ولولا هذه الصورة القاتمة لما تميز إشراق الصورة الأولى ولا ظهر بريقها ولما ساغ الفخر الذي تجاوز حدود المعقول. وما دام الحديث في مستهله والبحث في مقدمته فسيكفي إيراد المثل من وجه الصورة التي تزعم وجودها على الرغم مما يحاول الشعراء من إخفائه وإبعاده عن دائرة الضوء ومساقط الإشراق فإذا كانت الصورة الأولى هي صورة أريحية الجواد الذي يوقد النار لهداية الضيف وينشط لقراه فإن الصورة الأخرى تجسم منظر ذاك الذي إذا نزل به ضيف مرة من الزمان ودَّ ألا يراه مرة أخرى في حياته ولا يحب أن يعود إليه قط. وقد اتخذ هذا الصنف وسائل تبعد الضيف

(١٢٦) لسان العرب مادة «عضد».

عنهم وتحول بينهم وبينه فجاء في بعض مأثورهم أن من عادة بعضهم إذا رحل الضيف عنهم وأحبوا ألا يعود إليهم كسروا شيئاً من الأواني[١٢٧] بعده رجاء أن يقيهم ما كسروا مؤنته مرة أخرى فلا يرونه عندهم ثانية وقد لا تنفع هذه الرقية المشؤومة فيعود الضيف وقد ذهب المتاع الذي كسره.ومن لطيف قولهم في هذا المعنى :

كَسَرْنَا القِدْرَ بَعْدَ أَبِيْ سُوَاحٍ　　　فَعَادَ وَقِدْرُنَا ذَهَبَتْ ضَيَاعَا

وقال آخر يعير من يفعل ذلك ويعرض به ويزعم أنه أكرم منه[١٢٨] :

ولان نَكْسُرَ الْكِيْزَانَ فِيْ إِثْرِ ضَيْفِنَا
وَلَكِنَّنَا نَكْفِيْهِ زَاداً لِيَرْجِعَا

ويقول شاهد ثالث[١٢٩] :

أَمَا وَاللّٰه إِنَّ بَنِيْ نُفَيْلٍ
لَحَلَّالُونَ بِالشَّرَفِ اليَفَاعِ
أُنَاسٌ لَيْسَ تَكْسُرُ خَلْفَ ضَيْفٍ
أَوَانِيَهُمْ وَلَا شُعَبُ القِصَاعِ

وفيما ظهر من شطحات أمثالهم وما تفلت على ألسنتهم بعض ما يدل على بخل بعض الرجال ولؤمه، فجاء المثل المشهور «أبي الحقين العذرة» ومناسبته فيما ذكر أبو زيد أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً وعندهم لبن قد حقنوه في وطب فاعتلوا عليه واعتذروا. فقال «أبي الحقين العذرة» فذهب كلامه مثلاً[١٣٠] . وقد يقابل استثقال الضيف عند بعضهم جشع منه

(١٢٧) بلوغ الأرب في معرفة جـ ٢ ص ٣٣١ .
(١٢٨) بلوغ الأرب جـ ٢ ص ٣٣١ .
(١٢٩) بلوغ الأرب جـ ٢ ص ٣٣١ .
(١٣٠) مجمع الأمثال جـ ١ ص ٤٢ .

ومحاولة الاستزادة أكثر مما يستحق وتكليف المضيف وجبة إضافية وزاداً ليوم قادم فكان المثل الآخر «أعن صبوح ترقق»[131] وهو أن رجلاً ضاف حياً من العرب فلما غبقوه قال لهم غداً إذا صبحتموني كيف آخذ بحاجتي فقالوا «أعن صبوح ترقق». وقالوا أيضاً «ألأم من راضع» وهو مثل مما له علاقة بالضيافة والقرى يعبر عن بخل بعضهم وشحه على الضيف ومحاولة حرمانه، ويقول الفراء: إن مناسبته: أن الراعي لا يكون معه محلب ولا يمسك قعباً فإذا جاء معتر وسأله القرى اعتل بأن ليس معه محلب وإذا رام هو الشرب رضع.

كل الأمثال السابقة التي تفلتت من ثنايا الحديث واطراد الإنكار للبخل والحث على إكرام الضيف تزيد وجهة النظر وضوحاً ومصداقية وتجعلها قابلة للمناقشة على مبدأ ما جبل عليه الإنسان وركب في طبعه وما يتفق مع غرائز الذات التي جلبت على حب المال وحب الشرف وحب الفخر وكسب المكانة المرموقة في المجتمع وإرضاء الغرور الإنساني بما يلقى من الرضى وما يسمع من الحمد والثناء لكن الثمن عظيم ومقابله واسع والأخذ به أشد من قلع الأضراس وآلم على بعض النفوس من وخز الإبر. وسوف يسوق الشعر أدلة أمام يديه ومن خلفه تهدي إلى معالم الطريق في حياة سكان الجزيرة العربية وترصد خطرات نفوسهم وتصور ملامح حياتهم التي وصفوا فيها نماذج العادات الاجتماعية دون تكلف في مواقف العطاء. على أن كل ما لدى قبائل العرب من عادات لن يسهل تتبعه ولا مطلبه ولا يقوم سبيله في نموذج واحد أو فكرة شائعة، ولكن مع الأناة والنظر الدقيق قد يتشكل وجه مقبول من وجوه الجدل المعقول حول عادة الضيافة وكرامة الضيف. وسننتقي من الشعر ما يجعلنا نمرُّ معه في حركة الوجدان العربي ونفتش في خبايا النفوس ونكشف طوايا المضمر ونصل إلى مواقع المستكن وما قد يحرك الراكد وينطق الصامت من معاني الحياة ونختار ما أيده الحال ودل عليه المقال. وإذا نطق الشعر وأخذ في الحديث المسترسل والوصف المسهب عن المعارف عندهم فسيجد القارىء أمامه متسعاً للنظر وإمكانية معقولةللتمييز بين الحقيقة والخيال والممكن والمستحيل وذلك ما سوف يترك لتقدير المتابع واستنتاج القارىء لما سيقرأ من أبيات الشعراء الفاخرين الذين يزعمون أنهم يؤدون ضروباً من الكرم لا يكاد يصدقها السامع ويجسمون ضروباً أخرى من بخل الباخلين تصل إلى عدم التصديق أيضاً.

(١٣١) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٢.

الفخــر

يأخذ الفخر عند العرب حيزاً متميزاً في معارفهم العامة ويصور الواقع ويبالغ في تصويره حتى تصبح المبالغة إحدى الركائز التي يقف عليها الشاعر ويطورها عندما يعرض للقيم الاجتماعية التي يحرصون عليها. وسنحاول تتبع شعرهم الذي يتحرك في وجدانهم ويتكىء على أسس الوعي الجماعي للقيم المطلوب نشرها واتساع دائرة التعامل بها. والضيافة إحدى محاور القيم العظيمة عندهم التي تنتج تجربة شعرية رائعة لا تنفرد في مسارها عن أسس العادات العربية، بل تؤسس الجدل المعقول وتأخذ المتفق عليه في مصادر المعـرفة والثقافة المطلوب اتباعها حتى يتضح الواقع الاجتماعي ويذهب في مسارات الأفق ويؤثر في مستقبل الأجيال تأثيراً بعيداً. وقد جـاء تكثيف المأثـور الأدبي لكي تسرع حركـة الحياة وتتشكل صورة المعرفة ويحسن التعامل مع أبجديتها فتتسع دائرة الثوابت في الثقافة الأولى التي بلورت منهجاً أخلاقياً متميزاً وأرست دعائم الانطلاق للقيم الاجتماعية المقبولة، وهنا يكون الفخر بالضيافة ضرباً من تحقيق الذات وعملاً لتوسع دائرة الفضائل وتعليم السمو للفرد والجماعة حتى تتم في هذا السبيل عملية النشر لما يود المرء الكريم أن يراه سائداً في مجتمعه. وليست آراء الشاعر مجرد حاجة طارئة للتعبير عن حركة انفعال فردي أو محاولة لتحقيق التميز في معاني القول واستمرار الـذكر الحسن الـذي يسجله الشعر الأخـلاقي والشعر المعرفي، على معنى أن قيمة الشعر الأولى عند العرب أخلاقية كقولهم «إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب»[١٣٢] أو معرفية كما في مأثورهم «الشعر ديوان العرب». ولكنها أخلاقية في تعبيرها عن الأغراض والسلوك المقبول اجتماعياً، ومعرفيـة، أيضاً في رصدها للماضي وتسجيلها للحاضر.

والشعر العربي في مراحل تطوره الأولى يقوم على عملية الإيحاء عندما يبدأ الشاعر

(١٣٢) العمدة ص ٢٧ .

بالإبداع الذي يسمح بالتكوين الصحيح سلوكياً فيصبح استقطاباً للآخرين. وبعد ذلك يجيء دور التمثل والاقتداء لدى المنشدين والمرددين له آخذين دلالات الإعجاب والاندهاش بتلك القدرة الذاتية الفاعلة القادرة على تسجيل الواقع واجترار الإرث الرتيب من الحياة وعليها ثم التقليد لفضائل الأعمال.

أما الفخر وهو ما ينطبق عليه المعنى الشامل للشعر فإن خصوصيته تأتي من عملية الاستبطان الذي يتجه الى الواقع ويأخذ في تشكيل البيئة الاجتماعية من الداخل ويصور ما يود المبدع تحقيقه لنفسه إن لم يستطعه عملاً حاول الظهور باستطاعته قولاً وأقنع الراوي والمنشد بقدرتها على ترشيح النفوس المتلقية لمحاولة الاستطاعة. وأصبح الترديد للمفاخر ظاهرة قولية تتكيء على الشعر الموروث وتفخر بصورة المروءة وهي محكومة بحتمية التجاوب الواعي لمدلولاتها المقدسة في أعراف العرب وإثارة شعور الإعجاب والدهشة لدى الناس لحسن ما يأتي به المبدع من فنون القول الذي يعرضه متبصراً ميخيراً، فيأخذ الجانب الحيوي الإيجابي الذي يريد نشره في مجتمعه ويرفض الجانب الراكد السلبي الذي يجب أن يراه منقرضاً من المجتمع فيثبت وينفي ويعمل بطبيعته وفطرته في رفع مستوى التعامل ويفتح للشعر بلاغة اللغة المؤثرة فتجسد مكارم الأخلاق وتعطي السماحة حظاً وافراً من التقبل عندما يحتاج إلى مواصلة الانطلاق البعيد إلى الغاية المرجو تحقيقها والسبق إليها، وقد تجاوز الشعر في عصوره الأولى الوقوف أمام الملاحظات الجزئية الصغيرة التي تعترض طريقه حين كاد الشاعر أن يلغيها أو يتجاهل وجودها إن وجدت لكي يثير تجاوزه أزمة الرتابة والملل من بطء السير في حركة الحياة والمجتمع الذي يحس أنه راكد بطيء الخطوات لا يتزحزح إلا في دائرة الانغلاق والتردد، فمال طبع الشاعر إلى المبالغة والتجاوز الواعي حتى ينبه الإحساس العام ويعاد النظر في الجزء المقبول من المبالغة فتحدث لدى المستمع عملية النشاط الذهني المطلوب حتى تظهر حاجة التوفيق بين حقيقة ما يعرف المتلقي وتجاوزات المبالغة البعيدة عن الواقع المعاش الذي يمكن حدوثه وتصوره. وحَسْبُ الشعر والشاعر إحداث الصدمة الذهنية الأقوى ثم التحرك بعيداً عن دائرة الاضطراب حتى تثير مفردات اللغة علامة الاستفهام لديه فيحكم في وعيه دلالات المبالغة ويصور قبوله أو رفضه. وبين

عملية الرفض والقبول يحقق الشعر أغراضه وتتم الاستجابة العاطفية ويحدث موقف وسط بين المبالغة المتخيلة والحقيقة الماثلة أمام الناظرين.ولا شك أن شعر الفخر حظه من الاستجابة الأولى كبير ونصيبه منها وافر، وأن شعر الهجاء والثورة على الواقع المرفوض قبوله اجتماعياً، حظه كبير ونصيبه وافر أيضاً. وهناك منطقة وسط يبدأ عندها تشابك الحقيقة مع الخيال والمبالغة مع الواقع فلا تنتهي بخط فاصل لكنها تأخذ حيزاً معقولاً ومساحة ممكنة يمتزج فيها الخيال مع الحقيقة ويكون كله في دائرة التداخل وفي حكمها فيقبله العقل في حدود المتعارف عليه والمألوف في العادة ثم يبدأ تميز المبالغة وغلبتها وتلاشي الحقيقة واختفائها في صعود منطقي الحركة وفي نقطة الامتزاج والتداخل بين الحقيقة والخيال وبين المعرفة والادعاء تقوم الموازنة المطلوب توفرها.

إن البحث بعد هذه التوطئة سيدلف في وجدان الشعراء العرب والشعر العربي عندما يتحدثون عن أسس حياتهم ومنها الضيافة التي سيأخذ نصيبها من الشعر ومن مبالغات الشعراء حيز البحث كله. محاولاً الابتعاد قليلاً عن نمطية الطبيعة التي أنتجت الشعر ومبقياً معنى الشعر أداة توصيل للعادات السائدة والفهم الحي لمواضعات المجتمع. وسيبدأ البحث باستعراض نماذج الشعر وخيارات الشعراء عندما يغرقون في وصف ذاتي لمعاني الجود والكرم وما يواجه الكريم من لوم المشفقين وتذمر الأقربين كما يقول حاتم الطائي(١٣٣):

وَقَائِلَةٍ أَهْلَكْتَ فِي الجُودِ مَالَنَا
وَنَفْسَكَ حتى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْت دَعِيْنِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَةٌ
لِكُلِّ كَرِيْمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيْدُهَا

ويقول(١٣٤):

فَلُوْمِيْنِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي ... وَأُكْرِمْ مُكْرِمِي وَأُهِنْ مُهِيْنِي

(١٣٣) ديوان حاتم الطائي ص ١٨٧.
(١٣٤) ديوان حاتم الطائي ص ١٦٠.

ومثل ذلك المعنى يرد على لسان ذي الرملة فيقول(١٣٥):

أَعَـاذِلَ غُضِّيْ مِـن لِـسَـانِـكِ عَـن عَـذْلِيْ
فَـمَا كُـلُّ مَـن يَهْـوَى رَشَـادِيْ عَـلى شَـكْـلِ
فَـمَا لاَمَ يَـوْمـاً مِـن أخٍ وَهْـوَ صَـادِقٌ
إِخَـائِـيْ وَلاَ اعْـتَـلَّتْ عَـلى ضَـيْـفِـهَـا إِبْـلِي
إِذَا كَـانَ فِـيْـهَـا الـرَّسْـلُ لَمْ تَـأْتِ دُونَـهُ
فِـصَـالِيْ وَلَـوْ كَـانَـتْ عِـجَـافـاً ولا أَهْـلِي
وَإِنْ تَـعْـتَـذِرْ بـالمَـحْـلِ مِـن ذي ضُرُوعِـهَـا
عَـلى الـضَّـيْـفِ يَجْـرَحْ في عَـرَاقِيْـبِـهَـا نَـصْـلِي

وعلى الرغم من روح التقبل لعذل المرأة المشفقة عليه وعلى نفسها معه إلا أن مبررات الإنفاق والضيافة أقوى من عوامل التفهم لموقف العاذلة ورحمتها به ورفقها عليه لا سيما إن كان ذلك إرثاً يحيي به مجداً سالفاً ويذكر به آباء كراماً لا يجوز أن يقصرِّ دون مجدهم أو يسيء بفعله وبخله إلى سمعتهم التي مضت مع الأيام كما يقول عبيد بن عبد العزى السلاماني(١٣٦):

وعَـاذِلَـةٍ فَـادَيْـتُـهَـا أَنْ تُـلُومَـنِيْ
وقـد عَـلِمَـتْ أَنِّي لَهَـا غَـيْرُ مُـؤْثِـرِ
عَـلى الجَـارِ والأَضْـيَـافِ والـسَّـائِـلِ الـذي
شَـكَـا مَـغْـرَمـاً أو مَـسَّـهُ ضُرُّ مُـعْسِرِ
أَعَـاذِلَ إِنَّ الجُـودَ لا يُـنْـقِصُ الـغِـنَى
ولا يَـدْفَـعُ الإِمْـسَـاكُ عَـن مَـالِ مُـكْـثِرِ

(١٣٥) ديوان ذي الرمة ص ١٥٥ .

(١٣٦) قصائد جاهلية ص ١٣٢ .

أَلَم تَسْألي والعِلْمُ يَشْفِي من العَمَىٰ
ذوي العِلْمِ عن أَبْنَاء قَومِي فَتُخْبَري
سَلاَمَانَ إنَّ المَجْدَ فينا عِمَارَةٌ
على الخُلُقِ الزَّاكِي الذي لم يُكَدَّرِ
بَقيَّة مَجْدِ الأولِ الأوَّلِ الذي
بَنَى مَيْدَعَانُ ثَمَّ لَم يَتَغَيَّرِ
أولئك قَومٌ يَأْمَنُ الجَارُ بَيْنَهُمْ
وَيُشْفِقُ من صَوْلاَتِهم كلُّ مُخْفِرِ
مَرَافِيْدُ لِلمَولىٰ مَحَاشِيْدُ لِلقِرَىٰ
على الجَارِ والمُسْتَأنِسِ المُتَنَوِّرِ

وهو أمر مألوف أن يفتعل الشاعر عذل المرأة عامل تثبيط عن الجود والكرم خوفاً عليه من الإملاق وعلى نفسها من العوز الذي يدفع إليه في رأيها تصرف الرجل الجواد ولكن لومها يقابل بالعصيان والإصرار على الإنفاق طلباً للباقي من الذكر الحسن والثناء المستمر كما يقول حاتم الطائي(١٣٧) :

وَإنِّيَ لاَ آلُو بِمَالٍ صَنِيْعَةً
فَأوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ

ولا بد والحديث عن النفس والضيافة والجود أن يشفع بخصال الشجاعة وهي الجانب الأقوى المتمم للكمال في ذات المرء الذي يبحث عنه ويوسع دائرته في اطراد متناسق يكمل الجود والكرم بالشجاعة والإقدام فيقول(١٣٨) :

(١٣٧) ديوان حاتم ص ٢١٣ .
(١٣٨) ديوان حاتم ص ٢٢٣ .

وإنّي لأَقْـرِي الـضَّيْـفَ قَبْـلَ سُـؤَالِـهِ وَأَطْـعَنُ قِـدْمـاً وَالأَسِـنَّـةُ تَـرْعُـفُ

ويجيء الميسر في شتوات الليالي جزءاً من تقاليد المروءة ومذهباً من مذاهب الإنفاق يتعلل به الكريم المضياف عندما لا يجد سبباً لإطعام الناس أو عندما يود أن يظهر جزءاً من تقاليد القبيلة في محفل مشهود يقوم فيه الجمع على أيسار الجزر يتسابقون إلى الحظ الذي يواتي نصيبه وكسبه فلا يكون للنفس أو الأهل ولكنه يذهب إلى فئات من أهل الحاجة يحددهم لبيد العامري ومنهم الضيف[١٣٩] :

وَجَـزُوْرِ أَيْـسَـارٍ دَعَـوْتُ لِحَـتْـفِـهَـا بِمَـغَـالِـقٍ مُـتَـشَـابِـهٍ أَجْـسَـامُـهَـا

أَدْعُـو بِهِـنَّ لِـعَـاقِـرٍ أَوْ مُـطْفِـلٍ بُـذِلَـتْ لِجِـيْرَانِ الجَـمِيْـعِ لِحَـامُـهَـا

فَـالـضَّـيْفُ وَالجَـارُ الجَنِيْـبُ كَـأَنَّمَـا هَـبَـطَا تَبَـالَـةَ مُخْصِبـاً أَهْـضَـامُـهَـا

ويقول عن أبيه[١٤٠] :

وَجَـدْتُ أَبِيْ رَبِـيْـعـاً لِـلْيَـتَـامَـىٰ وَلِـلأَضْـيَـافِ إِذْ حُـبَّ الـفَئِـيْـدُ

وعن نفسه يقول[١٤١] :

ومـدَفَّـعٍ طَـرَقَ الـنُّـبُـوحَ فَـلَمْ يَجِـدْ
مَـأْوَىٰ وَلَمْ يَـكُ لـلمَـضِـيْـفِ سَـوَامُ
آوَيْـتُـهُ حـتى تَـكَـفَّـتَ خَـامِـداً
وَأَهَـلَّ بـعـد جُمَـادَيَـيْنِ حَـرَامُ

(١٣٩) ديوان لبيد العامري ص ٣١٨ .

(١٤٠) ديوان لبيد العامري ص ٤٠ .

(١٤١) ديوان لبيد العامري ص ٢٨٩ .

وحاتم الطائي لا بد أن يعود إليه الحديث مرة بعد أخرى كلما ذكر الكـرم والجود والفخر بهما فيقول(١٤٢) :

وَإِنَّـا لَـنُـطْعِـم أَضْـيَـافَـنَـا مِـن الكُـومِ بِـالسَّيْفِ نَعْتَـامُهَـا

ويقول عبد الله بن رواحة في شعره(١٤٣) :

وَقَـدْ عَـلِمَ الـقَـبَـائِـلُ غَـيْرَ فَـخْـرٍ
إِذَا لَمْ تُـلْفِ مَـائِـلَةً رَكُـودَا
إِذَا مَـا وَاجِـبُ الأَضْـيَـافِ أَمْسَى
وَكَـانَ قِـرَاهُـمُ غَـثًّـا فَـصِـيْـدَا
بِـأَنَّـا نُـخْـرِجُ الـشَّـتَـوَاتِ مِـنَّـا
إِذَا مَـا اسْـتُـحْـكِـمَـتْ حَـسَـبـاً وَجُـودَا

ويفعل حسان بن ثابت الشيء نفسه(١٤٤) ويؤكد فخره بالضيافة واعتداده بنفسه وقومه بالكرم والجود وإحلال الضيف الطارق محلاً من التوقير والاحترام فلا تدفعه الأيدي ولا يبعد عنه الخير ثم يشرك جاره مع ضيفه فيقول(١٤٥) :

وَإِنَّـا لَـنَـقْـرِي الـضَّـيْـفَ إِنْ جَـاءَ طَـارِقـاً
مِـن الـشَّـحْـمِ مَـا أَضْـحَى صَـحِـيْـحـاً مُـسَـلَّمَا

ويقول (١٤٦) :

وَلَا ضَـيْـفُـنَـا عِـنْـدَ القِـرَى بِمُـدَفَّـعٍ وَلَا جَـارُنَـا بِـالـنَّـائِـبَـاتِ بِمُـسْـلَمِ

(١٤٢) ديوان حاتم الطائي ص ١٧٧ .
(١٤٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١١٨ .
(١٤٤) ديوان حسان ص ٤٢٧ .
(١٤٥) ديوان حسان ص ٤٢٧ .
(١٤٦) ديوان حسان ص ٤٥١ .

ويأخذ عامر بن الطفيل المعنى المشترك للشعراء والمهيع المطروق فيقول(١٤٧) :

إِذَا سَنَةٌ عَزَّتْ وَطَالَ طِوَاهَا
وَأَقْحَطَ عنها القَطْرُ وَاصْفَرَّ عُودُهَا
وُجِدْنَا كِرَاماً لا يُحَوَّلُ ضَيْفُنَا
إِذَا جَفَّ فوق المُنْزِلَاتِ جَلِيْدُهَا

ويقول (١٤٨) :

إِنَّا لَنَعْجَلُ بِالعَبِيْطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ العِيَالِ وَنَطْلُبُ الأَوْتَارَا

ويذكر ابن مقبل الضيافة وحق الضيف ويدعي أنه يقري ضيفه أطايب الجزر ويختار له السنام كناية عن اجتيازه للضعيفة من الإبل والهزيلة فيقول(١٤٩) :

وَنُطْعِمُ الضَّيْفَ مَغْبُوطَ السَّنَامِ إذا
أَلْوَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ الهُوْجُ بِالخَطَرِ

وفي موقف آخر يقول (١٥٠):

فِي دَارِ حَيٍّ يُهِيْنُونَ اللِّحَامِ وَهُمْ
لِلْجَارِ والضَّيْفِ يَغْشَاهُمْ مَكَارِيْمُ

وفي المساق الاجتماعي نفسه يجعل أسامة بن جندل الضيف الغريب باعث فخر واعتزاز فيحييه ويسعد به ويزعم أن جارهم مثل ضيفهم منعم عليه محفوف بالفضل لا

---

(١٤٧) ديوان عامر بن الطفيل ص ٤٦ .
(١٤٨) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٨ .
(١٤٩) ديوان ابن مقبل ص ٩٠ .
(١٥٠) ديوان ابن مقبل ص ٢٧٥ .

يبخلون عليه ولا يستثقلون بقاءه ونزوله بينهم فيقول[١٥١] :

قَـدْ يَسْعَـدُ الجَـارُ والـضَّيْـفُ الـغَـرِيْـبُ بِنَـا
وَالـسَّـائِـلُونَ وَنُـغْـلِي مَـيْسَرَ الـنِّـيْـبِ

ويرى سراقة البارقي أن إبله مقسمة بين حاجة ابن عمه وقري ضيفه فيقول[١٥٢] :

وَأَقْـرِضُـهَـا ابْـنَ عَـمْـيِ إِنْ أَتَـانِيْ
وَأَقْـرِي الـضَّـيْـفَ أَعْـظَمَـهَـا سَـنَـامَـا

ثم يتكرر في كل شعر فاخر ذكر الناقة الميسر والناقة الجزور والسنام المعبوط والبرك الهواجد والضيف الذي يطرق فيفرح به الكريم الجواد وتذعر الإبل حتى شاعت هذه المفردات في لغة الشعر الذي يصف كرم المضيف وجوده فيغالي في مدحه ويحترمه ويدأب على احترامه ويذيع بين الناس فضائله ويبعد به في بعض الأوقات عن الواقع حتى أصبحت مفردات المدح بالضيافة جملاً جاهزة للاستعمال ذات مضامين مفهومة ومقبولة لدى المجتمع على أن ذلك يحدث كلما فخر الشعراء بجودهم وبأنفسهم أو جود قبائلهم ومن يستحقون المدح من الآخرين . حتى تراءى للمتتبع لأشعارهم أن كل ضيف مهما كان شأنه يستحق أن تنحر له الجزر وتقام له المآدب ، ويشبع الحي كله من أجله وأن القرى تعميم للجود وبيان لفضل الجواد مهما كان الطارق فرداً أو جماعة . يقول المثقب العبدي[١٥٣] :

فَـلَمَّا أَتَـانِيْ والـسَّـمَاءُ تَـبُـلُّهُ ... فَـلَقَّيْـتُـهُ أَهْـلاً وَسَـهْـلاً ومَـرْحَـبَـا
وَقُمْتُ إلى الـبَـرْكِ الهَـوَاجِـدِ فَـاتَّقَـتْ ... بِكَـوْمَـاء لم يَـذْهَبْ بهـا النِّيُّ مَـذْهَبَـا
فَـرَحَّبْتُ أعـلى الجَنْبِ مـنهـا بِـطَعْنَـةٍ ... دَعَـتْ مُسْتَكِـنَّ الجَـوْفِ حتى تَـصَبَّبَـا

(١٥١) ديوان سلامة بن جندل ص ٢٢٧ .

(١٥٢) ديوان سراقة البارقي ص ٩٨ .

(١٥٣) ديوان المثبب العبدي ص ٢٧ .

تَسَامَى بَنَاتُ الغَلْيِ في حَجَرَاتِهَا تَسَامى عِتَاقِ الخَيْلِ وَرْداً وأشْهَبَا

إن الضيف في الشعر باعث على مراد يتوجه إليه الشاعر بكل حواسه ويستنفد فيه كل شعره وهو الإطعام وإقراء الضيف الذي يجعله سبباً في إشراك الحي كله من أجل هذه المناسبة فينتظرون الضيف ليكون تعلة للكريم الذي إذا رأى الضيف قام فرحاً به مسروراً بقدومه لإكرامه وليجد السبب في إطعام الحي الجياع. ولعل هذا هو غرض الربط الوثيق بين الجار والضيف في وصف الجود فأصبح ذكر القرى أمراً مشتركاً بينهما كما يقول عنترة(١٥٤):

وَإنِّي لأحْمِي الجَارَ من كُلِّ ذِلَّةٍ
وَأفْرَحُ بِالضَّيْفِ المُقِيْمِ وَأبْهَجُ

ويقول في مناسبة أخرى(١٥٥):

كَفَى حَاجَةَ الأضْيَافِ حتى يُرِيْحَهَا
على الحَيِّ مِنَّا كُلُّ أرْوَعَ مَاجِدِ

إن محمل المبالغة في ذكري الضيافة وإكرام الضيف والحديث عنها يقع في نفوس الذين يقرؤون الشعر وهم خارج ظروف الجزيرة القاسية وطبيعتها المكفهرة، أما من يعرف بيئة الجزيرة ويعرف قسوة الحياة فيها فإن المبالغة عنده ستضعف حتى تختفي، حين يتمثل الدارس للشعر العربي والناظر في شعر الضيافة خاصة بيئة الجزيرة العربية وأعراف أهلها وتقاليدهم ونوع الحياة التي يعيشونها في الجاهلية وبعد الإسلام وقد استمروا عليها حتى العصر الحاضر أي قبل خمسين عاما،وبقيت الحياة التي تصفها القصائد الجاهلية والشعر العربي القديم حية ماثلة يعيشها أهل الجزيرة ويمارسون الشكل الذي تنطبق عليه أدبيات

(١٥٤) ديوان عنترة ص ٣٧.

(١٥٥) ديوان عنترة ص ٥٠.

والبيت منسوب للمثقب العبدي في ملحق ديوانه ص ٥٦.

الشعر الجاهلي. وعادات العرب التي وصلت إلينا في العصر الحاضر شاهد حي على صدق ما نجده في شعرهم القديم .وقد أدركت في طفولتي ما وصفه الشعر القديم معمولاً به ومطبقاً كما وصفته الخنساء في مراثي أخيها:

طَـوِيْـلُ الـنِّـجَـادِ رَفِـيْـعُ الـعِـمَادِ   كَـثِـيْرُ الـرَّمَـادِ إذا مـا شَـتَـا

وهو ما قد يظن أنه من المجاز في القول ومن خيال الشعراء ومبالغاتهم إلا أنني شهدت المرأة في العصر الحاضر تنهر نهراً شديداً إذا حاولت إبعاد الرماد عن موقد النار المعد للضيافة وتؤمر أن تزيده ليرتفع عالياً وترشه بالماء حتى لا تطير به الريح. إن الجانب البارز في لغة الشعر هو الجود والقرى على الرغم من اتخاذ نمطية لفظية لا تعطي اتساعاً لغربلة العادات الاجتماعية المتعلقة بآداب الضيافة ولا تمكن الشاعر أن يأتي بمفارقات بعيدة عمّا يكون قد سبق إليه لسان شاعر آخر في المعنى المقصود نفسه، وفي ظل هذه النمطية لا يجد القارىء الذي يتتبع قاموس الشعراء مفارقات كثيرة بين شاعر وآخر، فالضيف والقرى ونحر الجزر والسرور بمقدمه وإطعام الحي معه وإشعال النار لهدايته هي المفردات المشتركة عند الذين تناولوا هذا الجانب، ولكن تقارب الكلمات وتطابق معناها لا يجعلنا نتجاوز الرتابة اللغوية إلا في إطار اختلاف الدلالة في موقف من مواقف الضيافة وإنجاز المضيف الذاتي عندما يخاطب السامعين وهو ينشد مقطعاً شعرياً يصور فيه خصوصيته ،وهو يحل ذلك من نفسه محل الواقعة الفردية فيخرج بعض المخرج من سور النمط اللفظي المتفق عليه كما يتجاوز الشاعرُ المشترك فيجعل إكرام الضيف جزءاً من الاهتمام الدائم في خلده ويوصي به من بعده كما يقول الأعشى (١٥٦) :

الـضَّـيْـف، أُوْصِـيْـكُـمْ بِـالـضَّـيْـفِ إنَّ لَـهُ
حَـقّـا عـليَّ فَـأُعْـطِـيْـهِ وَأَعْـتَـرِفُ

---

(١٥٦) ديوان الأعشى ص ٣٥٩.

أو يزيد معنى له دلالة خاصة كما جاء في قول المنخل (١٥٧) :

فَـلاَ والـلَّهِ نَـادَى الحَـيُّ ضَـيْـفِـي هُـدُوْءاً بِـالْمُسَـاءَةِ والـعِـلاَطِ

وعند عروة لغة قريبة الشبه بهذه لها دلالة متميزة عندما يعمد إلى وصف الضيافة وشعوره نحو الضيف ويدافع عن مذهبه في الحياة فلا يحس السامع أن ذاك يحمل شيئاً من التكلف والمبالغة ولا يشعر بالمفارقة بين ما يقول الشاعر وما يمكن أن يفعل. ولغة عروة الشعرية في الضيافة تعطي طعماً خاصاً في مذهب الجود والسماحة وعليها مسحة عبارات تشف عن روح وثابة إلى تأصيل عادة العرب ومنهجهم في المدح يقول في ذلك (١٥٨) :

يُـرِيْـحُ عـليَّ الـلَّيْـلُ أَضْـيَـافَ مَـاجِـدٍ
كَـرِيْـمٍ وَمَـالِي سَـارِحـاً مَـالُ مُـقْـتِـرِ

أو يقول(١٥٩) :

سَـلِي الـطَّارِقَ الْمُـعْـتَرَّ يَـا أُمَّ مـالِـكٍ
إِذَا مَـا أَتَـانِيْ بـين قِـدْرِي وَمَجْـزَرِي
أَيُـسْـفِـرُ وَجْـهِـي إِنَّـهُ أَوَّلُ الـقِـرَى
وأَبْـذُلُ مَـعْـرُوفِي لَـهُ دُونَ مُـنْـكَـرِي

إن هذه اللغة تشف عن صدق وحب للجود وتقرب حتى تلتحم مع واقع الكريم الجواد «أيسفر وجهي إنه أول القرى» ويعقب على هذا السؤال ببذل المعروف وردّ المنكر فيتم العرف الاجتماعي في كرامة الضيف.

(١٥٧) ديوان الهذليين جـ ٢ ص ٢١.
(١٥٨) ديوان عروة ص ٤٦.
(١٥٩) ديوان عروة ص ٥٧.

ولا يتوعر مسكين الدارمي كثيراً عندما ينعى نفسه إلى أضيافه ويدرج شخصه فقيداً للضيف القادم في غياطل الظلماء وبرد الشتاء فلا يجده حتى يجد الكرم والفضل الذي جاء يطلب عنده، لكن الشاعر يكرر معنى عروة بالجمع بين القرى وبشاشة اللقاء فيقول(١٦٠).

إِذَا مُتُّ فَانْعَيْنِي لِأَضْيَافِ شَقَّةٍ
رَمَى بِهِمُ دَاجٍ بَهِيْمُ الغَيَاطِلِ
وَلَسْتُ بِوَقَّافٍ إِذَا الخَيْلُ أَسْرَعَتْ
ولَسْتُ بِعَبَّاسٍ إلى الضَّيْفِ بَاسِلِ
وَلَكِنَّهُ يَلْقَاهُ مني تَحِيَّةٌ
ويَأْتِيهِ قَبْلَ العُذْرِ بَذْلِي وَنَائِلِي
ويَلْقَاهُمُ وَجْهِي طَلِيْقاً وعَاجِلاً
قِرَايَ ومن خَيْرِ القِرَى كُلُّ عَاجِلِ

وفي المعنى نفسه يقول جرير (١٦١) :

إِذَا مُتُّ فَانْعَيْنِي لِأَضْيَافِ لَيْلَةٍ
تَنَزَّلُ من صُلْبِ السَّمَاءِ جَلِيْدُهَا

ويحمد الأعشى قرى الضيف ورحابة المنزل فيقول(١٦٢) :

وَيَوْم جَمَامٍ قَدْ نَزَلْنَاهُ نَزْلَةٍ   فَنِعْمَ مُنَاخُ الضَّيْفِ والمُتَحَوَّلُ

وحسان بن ثابت يأخذ المنحى الذي سلكه الشعراء ومجدوا به أقوامهم فيقول(١٦٣):

---

(١٦٠) ديوان مسكين الدارمي ص ٥٨ .

(١٦١) ديوان جرير ص ١٢٤ .

(١٦٢) ديوان الأعشى ص ٤٠٥ .

(١٦٣) ديوان حسان ص ٣٤٦ .

وإكْــرَامَــنَـــا أَضْــيَــافَـــنَـــا وَوَفَـــاءَنَـــا
بِمَـــا كَـــانَ مِـــن إلٍّ عَـــلَيْـــنَـــا ومُـــوْثِـــقِ

وخطرات الشعراء تدور في هذه الأبيات على تمجيد الذات ومدح النفس والأخذ بالفخر ومحاولة إقناع المستمع بحقيقة ما يقول الشاعر وتصديقه، وإذا التفت الشاعر إلى الآخرين وابتعد عن خصوصياته قليلاً تطورت نظرته ونمت لغة الخطاب عنده ورقى إلى مثل عليا وأخذ في مذهب الثناء على الأجواد وأهل الفضل وزاد في حق الذين يجمعون إلى سماحة البذل رحابة الصدر. وأقرب ما يصلح للاستشهاد قول الحطيئة[١٦٤] :

أُولَئِــكَ آبَــاءُ الــغَــرِيْــبِ وَغَــاثَــةُ
الــصَّــرِيْــخِ وَمَــأْوَى المُــرْمِــلِيْنَ الــدَّرَادِقِ

وعند أوس بن حجر[١٦٥] :

مَــطَاعِــيْنُ في الهَــيْــجَــا مَــطَاعِــيْــمُ لــلقِــرَى
إذَا اصْــفَــرَّ آفَــاقُ الــسَّــمَاءِ مِــن الــقَــرْسِ

ولا يأخذ الشعر العربي بعداً نفسياً أكثر من ذلك ولكنه يجدد الخطرات السريعة والرد المباشر لعامل اللحظة أو التمثل للموقف الذي لا يلبث أن يتحول أو يتغير. ولعلي بن محمد العلوي بعض اللمحات المتميزة في وصف الضيف ومباغتته في الليل المظلم واندفاع الرجل الجواد إليه قبل أن يتحقق شخصه فينهض ليهتبل قدومه ويجعله سبباً في نحر الجزر والإطعام والفخر بذلك فيقول[١٦٦] :

وإذَا تَــأَمَّــلَ شَــخْصَ ضَــيْــفٍ مُــقْــبِــلٍ مُــتَــسَــرْبِــلٍ أَثْــوَابَ مَحْــلٍ مُــقْــفِــرِ

---

(١٦٤) ديوان الحطيئة ص ٣٣١ .
(١٦٥) ديوان أوس بن حجر ص ٥٢ .
(١٦٦) الرسالة الموضحة ص ٣٧ .

أَوْمَـا إلى الـكَـوْمَـاءَ هـذا طَـارِقٌ   نَـحَـرَتْـنِيَ الأَعْـدَاءُ إنْ لم تُـنْـحَـرِي

والليل هو جالب الضيف وملجئه إلى المنزل الرحب والكريم المضياف، ولذا نجد الليل في الشعر يأخذ اهتماماً خاصاً، فالضيف الذي وصف العلوي هو شخص متسربل بالفقر يراه الكريم فلا يكاد يتحقق شخصه في الظلام حتى يهتز للندى ويقوم للقرى. وعبيد بن الأبرص يمدح من يخلط المعسر بالموسر ويفرح بالضيف الطارق الذي يجلبه الليل إليهم فينهض في خدمته وقراه فيقول في ممدوحيه(١٦٧) :

الخَـالِـطُو مُـعْـسِـراً مـنهـم بِمُـؤْسِـرِهِـمْ
وأَكْـرَمُ الـنَّـاسِ مَـطْرُوقـاً إذَا اخْـتُـبِـطُوا

ويصف عامر بن الطفيل اهتزاز الكريم للجود وأريحيته فيقول:

فَـقَـامَ أَبُـو الجَـبَّـارِ يَهْـتَزُّ لِـلنَّـدَى
كَـمَا اهْـتَزَّ عَـضْـبُ الـشَّـفْـرَتَـيْنِ حُـسَـامُ

والحطيئة له حق أن يدعي لنفسه ما يدعيه العرب ويقول مثلما يقول الشعراء وإن كان ذلك غير مسلم به في حال الحطيئة لكنه قادر أن يقول ما يشاء ويمدح نفسه مثل الشعراء فقال(١٦٨) :

أَرُدُّ المَـخَـاضَ البُـزْلَ والـشَّمْسُ حَـيَّـةٌ   إلى الحَـيِّ حتى يُـوسِـعَ المُـتَـضَـيِّـفُ

ويقول في سياق آخر يمدح نفسه أيضاً بقرى الضيف(١٦٩) :

عَـطَاءُ إِلهِـي إِذْ بَـخِـلْـتُـمْ بِمَـالِـكُـمْ   مَـهَـارِيْسُ تَـرْعَىٰ عَـازِبَ الـقَـفَـرَاتِ

---

(١٦٧) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٨٦.

(١٦٨) ديوان الحطيئة ص ٢٥٥.

(١٦٩) ديوان الحطيئة ص ١١٤.

مَهَـارِيْسُ يُـرْوِي رِسْلُهَـا ضَيْفَ أَهْلِهَـا إِذَا الـنَّـارُ أَبْـدَتْ أَوْجُـهَ الخَـفِـرَاتِ

لن يقف التأمل عند النظر إلى الشعر الذي دار حول الذات وتوشح بخيلاء الفخر والادعاء وذكر النفس بما تود أن تذكر به من فضائل الأعمال، وحسب الأمر أن يمس الظاهرة الاجتماعية والمسلمات المتفق عليها عند العرب ثم يدفع في مدارج الحديث إلى موضوعات أخرى قريبة الصلة ووثيقة السبب في الفخر والإشادة بما يواجه أهل الصحراء من مشقة الحياة ومحاولة التجاوز الممكن للظرف القاسي ومقابلة الشدة بالإقدام عليها وتوطين النفس لها حتى تتغلب الإرادة الصارمة على تلك القسوة ويخرج المرء مصقولاً بكـرامة التحـدي والصمود أمام العواصف العاتية حتى لا تقتلعه من جذور الوجود الذاتي وهو يتجاوز التعثر الذي تضعه الطبيعة المتوحشة في سبيل السالكين. إن الشعور الذي يصور الجواد المضياف ويعطيه أبعاداً إنسانية راقية ويضفي عليه هالة من التبجيل هو شعور باعثه نشوة انتصاره على العقبات الكأداء التي تلقيها الحياة في طريقه فتحاول صده عن تسنم قمم المجد الاجتماعي. وإذا تغلب على الظروف التي يعرف أن الكثيرين وقفوا وراءها عاجزين عن قدرة التجاوز كان تغلبه حافزاً ليفخر بنفسه أو يمدح غيره ممن استطاع التجاوز. وهو سواء كان شاعراً يفخر بنفسه أو يمدح غيره يعرض بالذين لم يستطيعوا ما استطاع تحقيقه في جهاده وصبره وإصراره في محاولة تذليل الواقع. وذكره لنفسه أو مدحه للآخرين يحمل ضمناً التشجيع والاقتداء من جانب، ومن جانب آخر يحمل التعريض بالذم أو شبه الذم لغيره من الذين خضعوا للعوائق الطبيعية القاسية وتعاملوا معها تعامل الاستسلام والتخاذل والانكسار. وما أكثر هؤلاء وما أعظم سوادهم في كل مجتمع إنساني وجد على الأرض وعصفت به ملمات الحياة تنازعته عوامل التحدي، وبين هذين العاملين تمت المفارقـة وقام الاستثنـاء الذي يتحدث عنه شعر الفخر من جانب واحد هو جانب الحياة المعاشة، وتتغلب نوازع الطبيعة في طرفي عامل المعادلة المتمكنة من حياة الإنسان المتفاعل وجدانه معها تفاعلاً فوقيـاً في حالات الشعور الذي يغلب فيه مبدأ الاقتحام وعدم المهادنة أو الانحناء للأزمات.

والعرب في عصورهم الأولى تغلب على حياتهم المواجهة، فجعلهم واقعهم يسرفون

في الفخر في مواجهة الأحداث بكل قوة الحياة وبكل إرادة التجاوز للظروف القاسية التي تعيشها المجموعات البشرية المتنقلة في فجاج الصحراء. وحسبها أن لا تظهر الذلة والهوان أو الضعة التي لا تقرُّ بها حتى في وقت الانكسار الحاد والانهزام الذي لا بد منه في بعض المواقف.

المدح بإكرام الضيف

المدح بالكرم وبالجود هو الصفحة المفتوحة التي ينشر الشاعر فيها مفاخر نفسه ومآثر قومه فيرصد القيم المحببة في المجتمع ويعرضها في شعره معتداً بها مبالغاً بحظه منها. وقرى الضيف قيمة اجتماعية عظيمة بالغ الشعراء فيها وحرصوا على أن يسجلوا محامد الأجواد كلما وجدوا مجالاً للشعر وسبباً للمدح. وانقسم الشعر المادح إلى نوعين شعر يمدح الشاعر به نفسه وقومه ويقرر ما يقوم به من عمل في كل مناسبة فيبرز فخره ويسرع في نشر رصيده الذي يريد له الذيوع وفي هذا الجانب تأخذ المبالغة نصيبها كاملاً وتطغى الصفة الذاتية على حقيقة الواقع.

أما النوع الثاني فهو مدح الشاعر للآخرين بفضلهم واعترافه بجميلهم وهو - أي الشعر - يعد شاهد حق للممدوح فيصبح الشاعر منساقاً بذكر فضائل الجواد الذي بذل ماله وأنفق ثروته في سبل السخاء وطرق المعروف فيصير المدح له والثناء عليه عملاً عاطفياً متجاوباً مع شعور العرب برد الجميل على أهل المعروف فيندفعون إلى ضرب آخر من المبالغة في مدح الكرماء عندما لا يستطيعون جزاءهم إلا بالشعر، فيزجون الثناء لهم كلما عنت المناسبة للمدح وكلما جاء ذكر الجود والسخاء. ولعل أصدق من وصف الإحساس بجميل المعروف وقيمته وحمد المنعم بنعمته هو الحطيئة في بيته المشهور(١٧٠):

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ
لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللَّهِ والنَّاسِ

وقد تجذر في وجدان العرب الوفاء والحديث عنه وذكر أصحاب المعروف به، وكبر في نفوسهم فضل أهل الفضل وأحجموا في بعض الظروف حتى عن الإقدام على هجاء

---

(١٧٠) ديوان الحطيئة ص ٥١.

الأجواد وخافوا حوبة هجائهم إن سبقت في شعرهم سابقة لا يرضونها(١٧١). وغلب على طبعهم الشعور بواجب الشكر فأشادوا بالذين يرون فيهم حباً لمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال. يقول الأعشى في بعض ممدوحيه(١٧٢) :

تَـضَـيَّـفْـتُ يَـوْمـاً عـلى نَـارِهِ ... مـن الجُـوْدِ في مَـالِـهِ أَحْـتَـكِـمْ

ويقول أيضاً(١٧٣) :

حَجَـرُوا عـلى أَضْيَـافِـهِمْ وَشَـوَوْا لَهُـمْ ... مـن شَطِّ مُـنْـقِـيَّـةٍ ومـن أَكْـبَـادِ

وفي موقف ثالث يذكر حالا أخرى غير السابقتين فيشير إلى كرم الأجواد ولطفهم بضيفهم واعتنائهم به وتقديم أطايب الطعام له فيقول(١٧٤) :

المُـطْعِـمُـو الـلَّحْـمَ إِذَا مَـا شَـتَـوْا ... وَالجَـاعِـلُو الـقُـوْتَ عـلى الـيَـاسِرِ

أما كُثَيِّر عزة وهو قليل المدح للضيافة لما شغله عنها من مذهبه الغزلي المشهور فإن صديقه الذي يستحق مدحه وينال إعجابه مضياف كثير الرواد لخيره الواسع ومعروفه الشاسع، وله ذكر بالقرى وبالهبات والندى فيقول فيه(١٧٥) :

وَأَنْـتَ أَبُـو ضَيْـفَـيـنِ: ضَيْـفٌ نَفَـحْتَـهُ ... بِنَفْـحَـةِ عُـرْفٍ عَـاجِـلٍ فَهْـوَ زَائِـلُ
وَآخَـرُ يَـرْجُـو مِنْـكَ مَـا نَـالَ قَـبْـلَهُ ... أَخُـوْهُ الـذي جَـهَّـزْتَـهُ فَـهْـوَ نَـازِلُ

---

(١٧١) هجا زهير بن أبي سلمى أهل بيت من بني عليم بن جناب وكان بلغه عنهم شيء كرهه من وراء وراء. فقال ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خشيت أن يصبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم. «الديوان ص ٥٦».

(١٧٢) ديوان الأعشى ص ٨٥.

(١٧٣) ديوان الأعشى ص ١٨٣.

(١٧٤) ديوان الأعشى ص ١٩٥.

(١٧٥) ديوان كثير عزة ص ٢٩٥.

ويجعله أباً للأضياف رحيماً بهم عطوفاً عليهم فيقول فيه[١٧٦] :

وَأَنْتَ أَبُو الأَضْيَافِ يَغْشَونَ نَارَهُ ... ومَلْقَى رِحَالِ العِيْسِ وَهْوَ لَغُوبُ

وعنده أيضاً[١٧٧] :

لَنِعْمَ ذَوُو الأَضْيَافِ يَغْشَونَ بَابَهُ ... إِذَا هَبَّ أَرْيَاحُ الشِّتَاءِ الصَّوَارِدُ

والحاجة عندهم تبعث ذكر الكريم وتبين جسامة فقده وكلما طرق الطارق الحي وجاءت الأضياف تطلب القرى ذكرت حسناته وشروعه في حقوق الضيف وحرصه على إكرام الغريب والرفق عليه فيقول الشاعر فيه[١٧٨] :

وَأَضْيَافُنَا إِنْ نَبَّهُونَا ذَكَرْتُهُ
فَكَيْفَ إِذَنْ أَنْسَاهُ غَابِرَةَ الدَّهْرِ
فَتَى كَانَ يَقْرِي الشَّحْمَ في لَيْلَةِ الصَّبَا
على حِينَ لَا يُعْطِي الدَّثُور ولا يَقْرِي
اذا سَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّل وجْهُهُ
على كُلِّ حالٍ مِن يسَارٍ ومِنُ عسْر
إِذَا شَوْلُنَا لم نَسْعَ فيها بِمِرْفَدٍ
قَرَى الضَّيْفَ مِنْهَا بِالْمُهَنَّدِ ذِي الأَثْرِ

ويبدأ القطامي وصفاً للكريم الجواد فيثني عليه ويحمده ويكرر ما تجاذبته لغة المادحين فيه من وصف لا ينقطع لنحره الجزر ونصبه القدور الراسيات لإطعام الضيف وإكرام منزله فيقول فيمن يمدح من العرب[١٧٩] :

(١٧٦) ديوان كثير عزة ص ١٦٦ .

(١٧٧) ديوان كثير عزة ص ٣٢١ .

(١٧٨) الحماسة جـ ٢ ص ٧٠٥ .

(١٧٩) ديوان القطامي ص ١٥٥ .

طِـوَالُ الـذُّرَىٰ لا يَـلْعَـنُ الـضَّـيْـفُ أَهْـلَهَـا
إِذَا هُـوَ أَرْغَـىٰ وَسْـطَهَـا بَـعْـدَمَـا يَسْرِي
إِذَا لَمْ يَـكُـنْ فـيـهـا حَـلُوبٌ تَـكَـشَّـفَـتْ
عـن السَّـيْـفِ مَـصْـقَـولاً وَأَبْـيَضَ كَـالـبَـدْرِ
وَيَـكْـفِـيْـكَ أَلاَّ يَـرْحَـلَ الـضَّـيْـفُ لاَئِـماً
كَـرَادِيْسَ مـن نَـابٍ تَـغَـامَسُ في قِـدْرِ

والضيف والكلاب والقرى مفردات منشورة في شعر المادحين والممدوح غيث وربيع وحياً وأهل للضيف، وكلبه لا يهر ولا يستنكر الطارق الغريب وهو أليف لا يؤذي، والإبل والجزر ترتاع لمقدم الضيف لما يحصل لها من نحر واستهانة بالمال من أجله كما يقول الأخطل(١٨٠) :

أَخَـالِـدُ أَيَّـاكُـمْ يَـرَى الضَّـيْـفُ أَهْـلَهُ   إِذَا هَـرَّت الـضِّـيْـفَـان كُـلُّ ضَجُـورِ

ويمدح آخر فيقول فيه(١٨١) :

رَبِـيْـعٌ لِهُـلاَّكِ الحِـجَـازِ إِذَا ارْتَمَـتْ   رِيَـاحُ الـثُّـرَيَّـا مـن صَبـاً وَجَـنُـوبِ
وَطَـارَتْ بِـأَكْنَـافِ البُيُـوتِ وَحَـارَدَتْ   عَـنِ الـضَّـيْـفِ والجِـيْرَانِ كُـلُّ جَـلُوبِ
كَـرِيْمُ مُنَاخِ الضَّيْفِ لا عَـاتِمَ القِـرَىٰ   وَلاَ عِـنْـدَ أَطْـرَافِ الـقَـنَـا بِهَـيُـوبِ

وفي مدح بني عبس يكون رأيه موافقاً إجماع العرب على خصلة الكرم وحق الضيف فيقول فيهم(١٨٢) :

---

(١٨٠) ديوان الأخطل ص ٦٤ .

(١٨١) ديوان الأخطل ص ٢٦٣ .

(١٨٢) ديوان الأخطل ص ٢٧٥ .

بَـنُـو عَـبْسٍ فَـوَارِس كُـلِّ يَـوْمٍ   تَـكَـادُ الهَـامُ خَـشْـيَـتَـهِ تَـطِيْرُ
وُفَـاةٌ تَـنْـزِلُ الأَضْـيَـافُ مِـنْهُـمْ   مَـنَـازِلَ مَـا يُحُـلُّ بِهَـا الـضَّـرِيْـرُ

ولهدبة بن الخشرم أبيات في المعنى الذي يتعاوره الشعر ويغرق فيه الشعراء فيقول في فخره ومدحه(١٨٣) :

وَأَسْرَعَ في المَـقْـرَىٰ وفي دَعْـوَةِ النَّـدىٰ   إِذَا رَائِـدٌ لِـلقَـوْمِ رَادَ فَـأَجْـدَبَـا
وَأَقْـوَلَـنَـا لـلضَّـيْـفِ يَـنْـزِلُ طَـارِقـاً   إِذا كُـرِهَ الأَضْـيَـافُ أَهْـلاً ومَـرْحَـبَـا

أما أمية بن أبي الصلت فممدوحوه ينالون حظهم في توسع دائرة الحديث عنهم ووصف فضائل أعمالهم وقدورهم المنصوبة ذات العمق والفخامة يردها الجائعون جماعة تأتي وأخرى صادرة(١٨٤) :

المُـطْـعِـمِـيْنَ الـشَّـحْـمَ فَـوْ   قَ الخُـبْـزِ شَـحْـماً كَـالأَنَـافِـحْ
نَـقْـلَ الجِـفَـانِ مـع الجِـفَـا   نِ إلى الجِـفَـانِ كَـالمَـنَـاضِـحْ
لَـيْـسَـتْ بِـأَصْـغَـارٍ لِمَـنْ   يَـعْـفُـو وَلَا رَحٌّ رَحَـارِحْ
لِـلضَّـيْـفِ ثـم الـضَّـيْـفِ بَـعْـ   دَ الـضَّـيْـفِ والبُـسُـطُ الـسَّـلَاطِـحْ

ويقول في وصف آخر لآنية الطبخ وقدور المستضاف(١٨٥) :

وَقُـدُوْرُهُ   بِـفِـنَـائِـهِ لِـلضَّـيْـفِ مُـتْـرَعَـةٌ زَوَاخِـرْ

فوصف آنية الطعام وقدور الكريم صارت حديثاً وموضوعاً للشعراء وتفخيم القدور

---

(١٨٣) شعر هدبة ص ٦٤ .
(١٨٤) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٧٠ .
(١٨٥) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٠٥ .

وسعتها يد على لازم ذلك وهو الكثرة والجود مثلما تكون كثرة الرماد كناية عن كرم الضيافة فيقول حاتم الطائي(١٨٦) :

إِذَا اسْتُنْزِلَتْ كَانَتْ هَدَايَا وَطُعْمَةً ... وَلَمْ تُخْتَزَنْ دُونَ العُيُونِ النَّوَاظِرِ

ويقول النابغة الذبياني المعنى ذاته وهو وصف آنية الطعام(١٨٧) :

لَهُ بِفِنَاءِ البَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ ... تُلَقَّمُ أَوْصَالُ الجَزُورِ العُرَاعِرِ

بَقِيَّةَ قِدْرٍ مِن قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ ... لِآلِ الجُلَاحِ كَابِراً بَعْدَ كَابِرِ

تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا ... كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

وفي شعر آخر يورد صاحب الحماسة قول الشاعر(١٨٨) :

نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ ... مِنَ الدُّهْمِ مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودُهَا

ويصف لبيد العامري القدور بقوله(١٨٩) :

وَإِذَا شَتُوا عَادَتْ عَلَى جِيرَانِهِم ... رُجُحٌ تُوَفِّيهَا مَرَابِعُ كُومُ

لَا يَحْتَوِيهَا ضَيْفُهُم وَفَقِيرُهُم ... وَمُدَفَّعٌ طَرَقَ النُّبُوحَ يَتِيمُ

وله(١٩٠) :

تَكُرُّ أَحَالِيبُ اللَّدِيدُ عَلَيْهِمُ ... وتُوفِي جِفَانُ الضَّيْفِ مَحْضاً مُعَمَّمَا

---

(١٨٦) ديوان الحاتم الطائي ص ١٩٩ .

(١٨٧) الحماسة ص ١٧٠١ .

(١٨٨) الحماسة ص ١٦٤٣ .

(١٨٩) الديوان ص ١٣٦ .

(١٩٠) الديوان ص ٢٨٤ .

ويأتي لبيد بن ربيعة العامري بصورة غير باهتة اللون ولا كئيبة المنظر عندما يتناول الضيافة وينظر في مسارب الجود فتصير كلماته مشرقة الديباجة في لغة تعبر عن بيان مملوء بالتوهج الذي تبعثه سماحة النفس المجبولة على حب مكارم الأخلاق، ويصبح نصيب الضيف والثناء على من يكرمه موضوعاً طيعاً للشعر سلسلاً مقبلاً سمحاً منقاداً لا يتلعثم ولا يستكن فيقول(١٩١):

وَلَا وَأَبِيكَ مَا حَيٌّ كَحَيٍّ ... لِجَارٍ حَلَّ فِيهِمْ أَوْ عَدِيمِ
وَلَا لِلضَّيْفِ إِنْ طَرَقَتْ بَلِيلُ ... بِأَفْنَانِ العِضَاةِ وَبِالْهَشِيمِ

ويقول أيضاً يذكر قيمة الإنسان بما يقدم للأضياف من أسباب الجود وما يفعل من كريم الخلق(١٩٢):

فَتًى عَارِفٌ لِلْحَقِ لَا يُنْكِرُ القِرَى
تَرَى رِفْدَهُ لِلضَّيْفِ مَلآنَ مُتْرَعاً

وإذا ذهب أبو خراش الهذلي مذهب المادحين بالضيافة وصفهم بأنهم لا يتعللون ببرد الشتاء القارص لا تمنعهم عن إكرام الضيف عواصف الطبيعة مهما اشتدت فيقول فيهم(١٩٣):

فَنِعْمَ مُعَرَّسُ الأَضْيَافِ تَنْحَى ... رِحَالَهُم شَآمِيَةٌ بَلِيلُ

وكذلك عند أبي ذؤيب تبدأ رحلة الشتاء بالعلامات القائمة للدلالة عليه وعلى منزله فيصفه بأنه ظاهر لا يخفى مكانه على أحد يحتاج القرى فيقول(١٩٤):

يُقَرِّبُهُ لِلْمُسْتَضِيفِ إِذَا أَتَى ... جِرَاءٌ وَشَدٌّ كَالْحَرِيقِ ضريح

---

(١٩١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٠٣.

(١٩٢) ديوان الهذليين جـ ٢ ص ١٤١.

(١٩٣) ديوان الهذليين جـ ٢ ص ١٤١.

(١٩٤) ديوان الهذليين جـ ١ ص ٦٢.

ويقول أيضاً(١٩٥) :

أَلْفَيْتَهُ لا يَذُمُّ الضَّيْفُ جَفْنَتَهُ   والجَارُ ذُو البَثِّ مَحْبُوٌّ وَمَمْنُوحُ

ويصف ممدوحيه بكثرة المعروف وبذله(١٩٦) :

مَطَاعِيْمُ لِلضَّيفِ حِينَ الشِّتَاءِ   قُبُّ البُطُونِ كَثِيْرُو الفَجَرْ

إن المشترك عند الشعراء الذين أخذنا نماذج من شعرهم مهما قل هو اهتمامهم بأنفسهم أو بقومهم إلا أن أحداً منهم لا يترك نصيبه لآخر، ولا يرى أن غيره أولى منه بتوسيع دائرة الأجواد الذين يصفهم ويثني عليهم ولا يتردد كثيراً في تطويع المعنى لمدحه، فيقول النابغة الذبياني: إن جار ممدوحيه وضيفهم في منزلة سواء لا يضيع ولا يهمل(١٩٧) .

مَتَى تَلْقَهُمْ لا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً
وَلاَ الضَّيْفُ مَمْنُوعاً ولاَ الجَارُ ضَائِعَا

وممدوحو ذي الرمة كغيرهم من الممدوحين عند الشعراء كافة يطعمون الطعام وينحرون الجزر ويشبع في ناديهم الطارق والجار والغريب والضيف فيقول(١٩٨) :

إِذَا حُلَّ عَنْهُنَّ الرِّحَالُ وَأُلْقِيَتْ   طَنَافِسُ عن عَوجٍ قَلِيْلٍ نَحِيْضُهَا
فَنِعْمَ أَبُو الأَضْيَافِ يَنْتَجِعُونَهُ   وَمَوْضِعُ أَنْقَاضٍ أَنِيٍّ نُهُوْضُهَا

ويقول في آخرين(١٩٩) :

---

(١٩٥) ديوان الهذليين جـ ١ ص ١٠٩ .

(١٩٦) ديوان الهذليين جـ ١ ص ١٥٠ الفجر: المعروف.

(١٩٧) النابغة الذبياني ص ١٦٤ .

(١٩٨) ديوان ذي الرمة جـ ٢ ص ٧١٣ .

(١٩٩) ديوان ذي الرمة جـ ٢ ص ١٣٢٣ .

تَكُبُّونَ لِلأَضْيَافِ في كُلِّ شَتْوَةٍ   مَحَالاً وَتَرْعِيْباً من العُبْطِ وَارِيَا
إذَا أَمْسَتْ الشِّعْرَى العَبُورُ كَأَنَّهَا   مَهَاةٌ عَلَتْ من رِمْلِ يَبْرِيْنَ رَابِيَا
فَمَا مَرْتَعُ الجِيْرَانِ إلَّا جِفَانُكُمْ   تَبَارَوْنَ أَنْتُمْ والشَّمَالُ تَبَارِيَا

ولا يتكرر معنى في شيء كما يتكرر معنى الجود في الشعر كله وعند الشعراء جميعهم ولا يكاد أحد منهم يغفل الحديث عن الضيافة والجود ولا يمله، فتأتي الخصال الكريمة موفورة في لغة لا تبتذل ولا تستنكر مهما طال النظر فيها. يقول السفاح بن بكير بن معدان اليربوعي يمدح في المعنى إياه(٢٠٠):

وَالمَالِيءِ الشِّيْزَيْ لِأَضْيَافِهِ   كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعْ
لا يَخْرُجُ الأَضْيَافُ من بَيْتِهِ   إلَّا هُم منه رِوَاءٌ شِبَاعْ

ويقول مُعَيَّةُ بن الحمام في رزء الكريم وفقد الجواد(٢٠١):

نَعَيْتَ حَيَا الأَضْيَافِ في كُلِّ شَتْوَةٍ   ومِدْرَهُ حَرْبٍ إذْ تُخَافُ الزَّلَازِلُ
ومن لا يُنَادِي بِالهَضِيْمَةِ جَارُهُ   إذَا أَسْلَمَ الجَارُ الأَلَفُّ المُوَاكِلُ
فَمَنْ وَبِمَنْ نَسْتَدْفِعُ الضَّيْمَ بَعْدَهُ   وَقَدْ صُمِّمَتْ فِيْنَا خُطُوبُ النَّوَازِلُ

والشاعر الذي يصف الممدوح هذه الصفات ويغرق في مدحه يعرف أنه يقدم ثواباً مرجواً على معروف سالف ويحس قيمة مدحه للممدوح ويرى أنه ينفعل بما يسمع من الثناء ويزيد في البذل والإنفاق ويفخر على غيره. وإذا نعى الشاعر الميت الذي انقطعت أسبابه من الحياة كان الوفاء له والتخليد لذكره هو الدافع الصادق وراء مدحه وحسن الثناء عليه كما يقول الأبيرد الرياحي في رثاء أخيه(٢٠٢):

---

(٢٠٠) المفضليات ص ٣٢٣.
(٢٠١) الأمالي جـ ١ ص ٦٢.
(٢٠٢) ذيل الأمالي ص ٣.

إذَا الـشَّـوْلُ رَاحَـتْ وَهْـيَ حُـدْبٌ ظُـهُـورُهَـا
عِـجَـافـاً وَلَمْ يُـسْـمَـعْ لِـفَـحْـلٍ لهـا هَـدْرُ
كَـثِـيْرُ رَمَـادِ الـنَّـارِ يُـغْشَى فِـنَـاؤُه
إذَا نُـودِي الأيْـسَـارُ واحْـتُضِرَ الجُـزْرُ
فَـتىً كَـانَ يُـغْـلِي الـلَّحْـمَ نَـيْئاً ولَحْـمُـه
رَخِـيْصٌ بِـكَـفَّـيْـهِ إذا تَـنْـزِلُ الـقِـدْرُ
يُـقَـسِّـمُـهُ حـتى يَـشِـيْـعَ وَلَمْ يَـكُـنْ
كَـآخَـرَ يُـضْـحِـي مـن غَـبِـيْـبَـتِـهُ ذُخْـرُ
فَـتَى الحَـيِّ والأَضْـيَـافِ إنْ رَوَّحَـتْـهُـمُ
بَـلِيْـلٌ وزَادَ الـقُـومِ إنْ أَرْمَـلَ الـسَّـفْـرُ
إذَا جَـهَـدَ الـقُـومُ المَـطِيَّ وأَدْرَجَـتْ
مِـنَ الـضُّـمْـرِ حتى يَـبْـلُغَ الحَـقَـبَ الـضَّـفْـرُ
وَخَـفَّـتْ بَـقَـايَـا زَادِهِـم وَتَـوَاكَـلُوا
وَأَكْـسَـفَ بَـالَ الـقَـومِ مَجْـهُـولَـةٌ قَـفْـرُ
سَـلَكْـتَ سَـبِـيْـلَ الـعَـالَمِـينَ فَـمَـالَهُمْ
وَرَاءَ الـذي لاَقَـيْـتَ مَـعْـدىً ولا قُصْرُ
وَأَبْـلَيْـتَ خَـيْـراً في الحَـيَـاةِ وإنَّمَـا
ثَـوَابُـكَ عـنـدي الـيَـومَ أَنْ يَـنْـطِقَ الـشَّـعْـرُ

إن الشعر هو الثواب الذي يقدمه الشاعر لمن يفعل الخير هو ثواب جزل وعطاء سخي دائم المدِّ لا ينقطع ولا يموت ولا يفنى كما قال عمر بن الخطاب لأبناء هرم بن سنان حين سأل

بعض ولد هرم[٢٠٣]: أنشدني بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول، قال ونحن إن كنَّا لنحسن له العطاء. فقال عمر: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. وفي سؤال آخر وجهه عمرُ لابن زهير قال: ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك؟ قال: أبلاها الدهر يا أمير المؤمنين، قال: لكن الحلل التي كساها أبوك هرماً لم يبلها الدهر.

وقد صدق عمر رضي الله عنه فحلل زهير قد عاشت حتى يومنا هذا يرفل بها هرم بن سنان بين الناطقين بالشعر وكأنه لم يذق طعم الموت وذهبت حلل هرم التي كساها زهيراً. ولقد كسا الشعراء في كل عصور الأدب وحقب التاريخ رجالاً من العرب حللاً لم يبلها الدهر ولهذا كان الحديث الذي لا ينتهي عن الشعر وقيمته وعن الشاعر ووظيفته في الناس منذ القدم حتى يومنا هذا فهو اللسان الذي يخلد الأجواد وهو الكنز الذي يحرص العلية والسادة وأهل الفضل على شرائه بمالهم كما تقول الخنساء في بعض شعرها[٢٠٤]:

نَـعِـفُّ ونَـعْـرِفُ حَـقَّ الـقِـرَىٰ وَنَـتَّـخِـذُ الحَـمْـدَ ذُخْـراً وكَـنْـزاً

وتقول[٢٠٥]:

وَابْـكِـي أَخَـاكِ لِأَيْـتَـامٍ وأَرْمَـلَةٍ وَابْكِي أَخَـاكِ لِحَقِ الـضَّـيْـفِ والجَـارِ

وتقول[٢٠٦]:

أَبْـيَـاتِـنَـا لِـفِـعَـالٍ مِـنْـكَ مَحْـبُـورُ وَلِـلْيَتَـامىٰ وَلِـلأَضْـيَـافِ إِنْ طَـرَقُـوا

والخنساء في كل رثائها الحار لأخيها كانت دائمة الإلحاح على قيمة الضيافة والإسراع إلى قرى الأضياف. وتأكيد أهمية العرف الاجتماعي الذي ينزل في نفوس الناس منزلة

(٢٠٣) العمدة، جـ ١، ص ٨١، ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠.
(٢٠٤) ديوان الخنساء ص ٨٧.
(٢٠٥) ديوان الخنساء ص ٨٢.
(٢٠٦) ديوان الخنساء ص ٦٩.

القداسة فيكون ترديده متفقاً مع السائد المألوف كما جاء عندها في أبيات أخرى عندما تلح على فقده لا لما ينالها ولا لما تختلج به عواطفها ولكن للأضياف:

فَمَنْ لِقِرِيْ الأَضْيَافِ بَعْدَكَ إنْ هُمُو
قِبَالَكَ حَلُّوا ثُمَّ نَادُوا فَأَسْمَعُوا

وقولها(٢٠٧):

ومَنْزِلُ الضَّيْفِ إنْ هَبَّتْ مُجَلْجِةٌ تَرْمِي بِصُمٍ سَرِيْعِ الخَسْفِ رَسَّافِ

وقولها(٢٠٨):

فَمَنْ لِلضَّيْفِ إنْ هَبَّتْ شَمَالٌ مُزَعْزِعَةٌ تُجَاوِبُهَا صَبَاهَا
هُنَالِكَ لَوْ نَزَلْتَ بِآلِ صَخْرٍ قِرَىٰ الأَضْيَافِ شَحْماً مِن ذُرَاهَا

ويمثل فقده في شعرها مأتماً حزيناً دائماً ليس لذاتها ولا لعاطفتها التي تتقد في لهيب الرزء الكبير ولكنها تجعل ثكله عاماً شاملاً غير خاص بها ولا بأهله وقمه وإنما ينال الآخرين منه نصيب فتقول(٢٠٩):

فَمَنْ يَضْمَنُ المَعْرُوفَ في صُلْبِ مَالِهِ
ضَمَانَكَ أَوْيَقْرِيْ الضُّيوفَ كَمَا تَقْرِي

وتقول(٢١٠):

نِعْمَ الفَتَىٰ كَانَ لِلأَضْيَافِ إذْ نَزَلُوا
وَسَائِلٍ حَلَّ بَعْدَ النَّوْمِ مَحْرُوبِ

(٢٠٧) ديوان الخنساء ص ٩٨.

(٢٠٨) ديوان الخنساء ص ١٤٢.

(٢٠٩) ديوان الخنساء ص ١٤٢.

(٢١٠) ديوان الخنساء ص ٥٥.

وتقول [٢١١]:

مِـنْ لِـضَـيْـفٍ يَحِـلُّ بِـالحَـيِّ عَـانٍ   بَعْـدَ صَخْرٍ إذَا دَعَـاهُ صَبَـاحَـاً

وأيضاً[٢١٢] :

وَلِـلأَضْـيَـافِ إنْ طَـرَقُـوا هُـدُوْءاً   ولِـلْكَـلِّ المَـكَـلِّ وَكُـلِّ سَـفْـرِ

وقد عظم الشعراء موت الرجل الجواد أبرزوا مكانه في المجتمع وأظهروا حاجة الطارقين إليه، وجعلوا قيامه بواجب الضيافة واهتمامه بتقاليدها الاجتماعية أعظم مناقبه وخير ما يذكر عنه. وليست الخنساء في الأبيات الماضية هي الشاعرة الوحيدة التي أظهرت الجزع الشديد وعظمته في شخص أخويها وإلا لعدَّ من الثناء على النفس والحديث بفضائل الذات والأهل والعشيرة ولكننا نجد مثلها لدى الخنساء عن أخويها عند شعراء آخرين شعروا بفقد قوم ليسوا ذوي رحم ولا قرابة فأكدوا الجلل الذي تتركه الوفاة لينكشف ويقوى ويزعم الشاعر أن الهالك لايهلك عن نفسه ولكنه يهلك عن مدارج الأخلاق وسبل المعروف التي كان يعمرها في حياته ولن يعمرها بعده إلا القليل. فجرير يقول فيمن يريد رثاءه[٢١٣]:

إذَا الأَمْـرُ نَـابَ الحَـيَّ لَمْ يَـقْضَ دُونَـهُ
وَإنْ طَـرَقَ الأَضْـيَـافُ لَـيْـلاً تَـبَـسَّـمَا

ويذكر أبو قيس صيفي بن الأسلت الشيء نفسه عمن تأخذه الحرب من الأجواد فيقول[٢١٤] :

(٢١١) ديوان الخنساء ص ٢٧ .

(٢١٢) ديوان الخنساء ص ٤٧ .

(٢١٣) ديوان جرير ص ٥٠٤ .

(٢١٤) ديوان قيس بن صيفي بن الأسلت ص ٦٧ .

كَمْ قَدْ أَصَابَتْ من شَرِيْفٍ مُسَوَّدٍ ... طَوِيْلِ العِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ

عَظِيْمِ رَمَادِ القِدْرِ يَحْمَدُ أَمْرَهُ ... وَذِي شَيْمَةٍ مَحْضٍ كَرِيْمِ المُضَارِبِ

وحاتم الطائي لا تغريه شهرته بالكرم وطول باعه في الضيافة التي طارت في الآفاق واشتهرت على كل لسان عن إدراك قيمة جود الجواد بعد فقده وتأبينه وتجسيد خسارته على أهل الحاجة والضيف والأرملة والفقير المدقع الذي يحتاج القوت فيقول في ملحان(٢١٥) :

لِيَبْكِ على مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ ... وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِيْ مع اللَّيْلِ أَرْمَلا

ولن ينتهي الشعر العربي أو يقف عند جانب من الثناء ولكنه سيستمر في الحديث ويفتق أوجه المفارقات التي تستجد مع الحياة ومع الناس ومع الزمن السرمدي فلا تنتهي في جيل ولا تقف عند حد. ويجد المرء في لغة هؤلاء المادحين ـ لأنفسهم أو للآخرين ـ التعبير الصادق عن التأثر الذي يعكسه المرء في نفس الشاعر فيتفاعل معه بطبيعة سمحة تصدق عليه ولا تستقل عنه وتسرع على لسانه فلا تشعر بالتردد والاضطراب الذي قد تجده في ممارسات أخرى. يقول جران العود(٢١٦) :

فَتَى الحَيِّ وَالأَضْيَافِ إِنْ نَزَلُوا بِهِ

حَذُور الضُّحَى تِلْعَابَةٌ مُتَغَطْرِفُ

تلك أمثلة من لغة الشعر الذي يتناول الفخر والمدح وهو أقل ما يمكن أن ينهض به هذا البحث فالمراد هو السياحة الذهنية مع خيال الشعراء الفاخرين المادحين بكرم الأخلاق وإنفاق المال في سبيل الحمد،وهو تصوير لما يختلج في وجدان العرب من هذه المعاني فيرسمون الصورة المثالية لما يجب أن يكون عليه المرء الجواد وما يستحق عليه المدح فلا يتزحزح عنه بعيداً. لقد جالت العرب جولات كثيرة وصالت مع الأيام في مدارج الحياة التي سادت في

(٢١٥) ديوان حاتم الطائي ص ٢٨٢ .

(٢١٦) ديوان جران العود ص ٢٣ .

الجزيرة العربية ،وكلما اشتد الفقر واحتاج الناس إلى أريحية الكريم وطلبوا ما عند الأجواد هبت فئة منهم في البذل والإنفاق مهب الريح فامتدت إليها الأيدي تنال معروفها وتستهل الألسن بذكر أخلاقها وتمجد أفعالها فيحسب الأجواد ذلك عوضاً يهون في سبيله المال ويحسن من أجله البذل ويليق الإنفاق فيه فتأخذ مقابل المال المبذول بقاء الذكر وحسن الأحدوثة في الخالدين، وإكرام العرب لهم وتقدير أعمالهم، وقد يكون لإقراء الضيف والاشتهار به ما يمنع الآخرين من إيذائهم أو العدوان عليهم ،وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في غزو بني مدلج ورُغِّبَ في المغنم والمال(٢١٧) : هل لك في بيض النساء وأدم الإبل؟ قال: ومنهم؟ قيل: بنو مدلج .قال: يمنعني من ذاك قراهم الضيف وصلتهم الرحم. وحسب العرب الذين يبذلون المال في القرى ويصلون الرحم أن يكون لهم شافع عند رسول الله لما يعلم من فضائل هذه الأعمال واحتساب العرب لذكرها وأجرها، وقد زاد التعلق بالمحامد وجميل الأخلاق وما يجده الكريم الجواد من احترام في نفوس الناس وما يحلونه من مكانة عالية في قمة الهرم الاجتماعي الباسق، فيعوض ماله ذكره الحسن وحبه عند من يعرفه ويقدر فضله وينال من إحسانه وذاك هو الجزاء العاجل في الدنيا وفي الآخرة له مثله وخير منه.

(٢١٧) البخلاء ص ١٦٢.

هجاء البخل على الضيف

بعد استعراض مسهب لرأي الشعراء العرب في الضيافة ومكانة الضيف عندهم وما يدعون من إكرامه فإنه لا بد من النظر إلى رأي الآخرين فيما يزعم العرب أنهم يمقتونه ويبتعدون عنه وهو البخل على الضيف حتى يكاد المتتبع لشعرهم أن يفهم أنه لا يوجد فيهم بخيل وأن الضيف النازل فيهم يحتكم في أموالهم كيف شاء، وأن الأيدي تتلقفه قبل نزوله والألسن ترحب به والقلوب تخفق بحبه. وأظهر الشعر الفاخر بالضيافة والشعراء المادحون بها أن حرمان الضيف مستحيل وأن جفاءه لا يمكن أن يحدث أحد نفسه به. ولأن الشعر هو الشهادة الثابتة فيما يستعرض هذا البحث وهو الحجة الناطقة على ما تزعم العرب فعله، فقد كان الأمر يتطلب استنطاق الشعر وقراءة حججه لنرى ما لدى الطرف الآخر من رأي حول الضيافة ومسلمات التمسك بآدابها. ومثلما أسعفنا الشعر بصورة جلية وضاحة عن الأجواد الفاخرين بالكرم والجود والممدوحين فيهما فقد أسعفنا الشعر بعدد من الأبيات التي تحكي الجانب الآخر عن العرب وعن تجاوبهم مع تقاليد الضيافة وتحقق ما يدل عليه المعنى الضمني للمدح الذي نسمعه إذ من الضرورة أن يكون عدد من الناس لا يستهان بكثرتهم بخلاء على الضيف لا ينشطون لإقرائه ولا يهتمون به ذلك الاهتمام الذي يدَّعيه الفريق الأول. ولو كان العرب كلهم أجواداً مطاعيم للضيف منفقي الأموال في سبيل قراه لما أصبح هناك معنى لتميز الكريم فيهم على سواه ولا جاز مدحه بما يفعله أهله وقومه إذ هم جميعاً يشتركون بصفات الكرم ولا فضل لأحد فيهم على غيره إذا تساوت الصفات.

أما الواقع فهو أن العدد القليل هم الذين يستطيعون تجاوز معوقات الحياة ويصلون إلى مراحل متقدمة من الإيثار ويشتهرون في مجتمعاتهم بين العرب عامة بالجود بينما تكون الكثرة من الناس بخلاء يحاولون التمسّك بأداء أقل الواجبات نحو الأعراف والتقاليد الاجتماعية. فالضيافة عادة ملزمة للجميع إلا أن المدح يأتي لمن تجاوز في بذله وأريحيته حدَّ الإلزام وأظهر في ضيافته قدراً من السماحة فمدح على مقدار تجاوزه الحدَّ الأدنى المتفق عليه

عند الجميع. وفيهم من يبلغ به الشح وانكماش اليد إلى حدّ التخلي عن مستوى الإلزام الاجتماعي فينقص عنه أو يبتعد منه وبمقدار نقصه ومسافة بعده تحت خط الاتفاق على الأداء للعرف الاجتماعي فينقص عنه أو يبتعد منه وبمقدار نقصه ومسافة بعده تحت خط الاتفاق على الأداء للعرف الاجتماعي يكون الموقف منه والهجاء له. وقد هجي أقوام بالبخل على الضيف ووصفوا بكل صور البخل والحرمان للضيف من حق الضيافة على الرغم من الحق الواجب له الذي يدعيه كل العرب بخيلهم وسخيهم وفقيرهم وغنيهم. يقول القطامي في أبيات له يشرح فيها رأيه في الحياة وموقفه من هؤلاء الباخلين ويصف تجربة سخصية مرَّت عليه عندما نزل بامرأة من محارب فلم تنشط لقراه وتباطأت بحقه حتى رحل عنها وهو لم يطعم لها طعاماً ولم يذق لها قوتاً[(٢١٨)] :

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الْمُسَافِرُ نَازِلاً ... وَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍ عَلى النَّاسِ وَاجِبِ
لاَ بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ مَا رَأى ... مُخَبِّرُ أَهْلٍ أو مُخَبِّرُ صَاحِبِ
لَمُخْبِرُكَ الأَنْبَاءَ عَن أُمِّ مَنْزِلٍ ... تَضَيَّفْتُها بين العُذَيْبِ وَرَاسِبِ
تَلَفَّعْتُ في طَلٍّ وَرِيحٍ تَلُفُّني ... وفي طِرْمِسَاءٍ غَيْرَ ذَاتِ كَوَاكِبِ
إلى حَيْزَبُونٍ تُوقِدُ النَّارَ كُلَّما ... تَلَفَّعَتْ الظَّلْماءُ مِن كُلِّ جَانِبِ
تَصَلِّي بها بَرْدَ العِشَاءِ لم تَكُنْ ... تَخَالُ وَبِيْصَ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبِ
فَمَا رَاعَهَا إلا بُغَامُ مَطِيَّتي ... يُرِيْحُ بِمَسْحُورٍ من الصَّوْتِ لاَغِبِ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وناقتي ... إِلَيْكَ فلا تَذْعُرْ عَلَيَّ رَكَائِبِي
فَسَلَّمْتُ والتَّسْلِيْمُ لَيْسَ يَسُرُّهَا ... ولَكِنَّهُ حَقٌ على كُلِّ جَانِبِ
فَرَدَّتْ سَلاماً كَارِهاً ثُمَّ أَعْرَضَتْ ... كَما انْحَازَتْ الأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبِ
فَقُلْتُ لَهَا لا تَفْعَلِي ذا بِرَاكِبٍ ... أَتَاكِ مُصِيْباً مَا أَصَابَ فَذَاهِبِ

---

(٢١٨) ديوان القطامي ص ٤٥.

فَلَمَّا بَـدَا حِـرْمَـانُهَا الضَّـيْـفِ لَمْ يَـكُـنْ ... عَـلَيَّ مَـنَـاخُ السُّـوْءِ ضَـرْبَـةَ لاَزِبِ
فَـقُـمْـتُ إلى مَـهْـرِيَّـةٍ قَـدْ تَـعَـوَّدَتْ ... يَـدَاهَـا وَرِجْـلاَهَـا خَـبِـيْـبَ الْمُـوَاكِبِ
أَلاَ إِنَّمَـا نِـيْرَانُ قَـيْسٍ إِذَا شَـتَـوُا ... لِـطَارِقِ لَـيْـلٍ مِـثْـلُ نَـارِ الحُـبَـاحِـبِ

يصرح الشاعر في قصيدته أنه ضاف حياً من العرب ونزل على امرأة من محارب فلم تنهض لقراه ولم تقدم له طعام الضيافة فخرج جائعاً يهجوها ويهجو قومها ويهدد بما تخافه العرب وتحسب له كل حساب وهو الذم والعار وما سيخبر عنه الضيف وينشره في الآفاق.

ويقول ذو الرمة في قوم ضافهم فلم ينشطوا لقراه(٢١٩):

تَحُطُّ إلى الـقَـفْـرِ أَمْـرَأَ الـقَـيْسِ إِنَّـهُ
سَـوَاءٌ عَـلى الـضَّـيْـفِ امْـرُؤُ الـقَـيْسِ والـقَـفْـرُ
تُحِـبُّ امْـرُؤُ الـقَـيْسِ الـقِـرَى أَنْ تَـنَـالَـهُ
وَتَـأْبَىٰ مَـقَـارِيْهَـا إِذَا طَـلَعَ الـنِّسْرُ

وقد وصفهم بأنهم والقفرسواءوما يجد الضيف فرقاً أن يبقى في فلاة من الأرض خالية أو ينزل في امرىء القيس فذلك في رأيه سيان. وفي موضع آخر يضع نفسه مع خصمه موضع المباهلة فيدعو على أبطأ الحيين ني قرى الضيف وأبعدهم عن تعجيله فيقول(٢٢٠):

لَحَـا الـلَّهُ أَنْـآنَـا عَـنِ الـضَّـيْـفِ بِـالـقِـرَىٰ
وَأَضْـعَـفَـنَـا عَـنْ عِـرْضِ وَالِـدِهِ ذَبـاً

ويصف فضالة بن شريك عاصم بن عمر بن الخطاب بأنه بخيل على ضيفه كريم على نفسه يملأ بطنه وينام وضيفه جائع مجهود فيقول(٢٢١):

(٢١٩) ديوان ذي الرمة ص ٥٩٤.
(٢٢٠) ديوان ذي الرمة ص ١٧٦٢.
(٢٢١) الأغاني جـ ١٢ ص ٦٧.

أَلَا أَيُّهَا الـبَـاغِـي الـقِـرَىٰ لَـسْـتُ وَاجِـداً
قِـرَاكَ إِذَا مَـا بِـتُّ فِي دَارِ عَـاصِـمِ
إِذَا جِئْـتَـهُ تَـبْـغِـي الـقِـرَىٰ بَـاتَ نَـائِـماً
بَـطِيْـنـاً وأَمْسَى ضَـيْـفُـهُ غَـيْرَ نَـائِـمِ

مثلما تقدم من الأبيات أبيات كثيرة تكرر في الشعر وتذم الباخلين على الضيف وتصف بعض أحياء العرب وبعض الرجال بعدم اهتمامهم بالضيف ، فالقفر وبيت البخيل سواء وما على طالب القرى إلا أن يختار القفر على من لا يقدر حق الضيف فيقول عمر بن لجأ التيمي (٢٢٢) :

وَمَنْـزِلُ يَـرْبُـوعٍ إِذَا الـضَّـيْـفُ آبَـهُ   سَـوَاءٌ عَـلَيْـهِ والـقِـفَـارُ الأَمَـالِسُ

وما يتعرض له الباخل من الهجاء حري بأن يزجره عن البخل ويزجر غيره حتى يتعظ فلا يعمل عمله ولا يفعل فعله كما قال مصعب بن عمير الليثي (٢٢٣) :

سَـيْرُوا فَـقَـدْ جَـنَّ الـظَّلَامُ عَـلَيْـكُـمُ
فَـبِئْسَ امْـرُؤٌ يَـرْجُـو الـقِـرَى عِـنْـدَ عَـاصِـمِ
دَفَـعْـنَـا إِلَـيْـهِ وَهْـوَ كَـالـذِّيْـخِ خَـاظِـيـاً
نَـشُـدُّ عـلى أَكْـبَـادِنَـا بِـالـعَـمَـائِـمِ

إنها صورة مخزية وهجاء مقذع تقشعر منها الأبدان وَتَسْوَدُّ منها الوجوه ويخشاه العربي ذو المروءة فيحذر أن يصيبه مثلها فيحرص على أن يتجنب كل شيء يضعه على لسان شاعر خوفاً

(٢٢٢) ديوان عمر بن لجأ التيمي ص ١١٢ .
(٢٢٣) البخلاء ص ٢١٩ .

أن يطلق للقول عنانه في ذمه سواء كان ما قال حقاً أو باطلاً صحيحاً أو كذباً. إن المهم عنده ألا يندلع لسان بهجائه فيشتري عرضه بالمال ويحفظ ذكره الحسن عن ألسنة حداد تصوره بصورة الإزدراء والتقزم أمام المجتمع الذي يعده الكريم شاهداً عليه. وإقراء الضيف هو سلم النجاة يصعده الرجال إلى قمم المجد والمكان المتسع أمام المادحين.

وقد عرف الشعراء جزع العرب والأجواد منهم خاصة من الهجاء وشدته عليهم فجعلوه أحد الأسلحة الفتاكة ولا سيما ما يتعلق بمروءة الرجل أو كرامته أو ما يطعن بنجدته وهذا الأشعر الرقبان الأسدي يقول فيمن يهجو(٢٢٤):

تَجَانَفَ رِضْوَانُ عن ضَيْفِهِ ... أَلَمْ يَأْتِ رِضْوانَ مِنِّي النُّذُر
بِحَسْبِكَ بِالقَومِ أَنْ يَعْلَمُوا ... بِأَنَّكَ فِيْهِمْ غَنِيٌّ مُضِر
وَقَدْ عَلِمَ المَعْشَرُ الطَّارِقُو ... نَ بِأَنَّكَ لِلضَّيْفِ جُوْعٌ وَقُر
فَأَنْتَ مَسِيْخٌ كَلَحْمِ الحِوَا ... رِ فَلاَ أَنْتَ حُلْوٌ وَلاَ أَنْتَ مُر

وبشر بن أبي خازم يتخذ الهجاء ذريعة للاذلال ويعير بني لأم باستهانتهم بحق الضيف وعدم القيام بواجب القرى فيقول(٢٢٥).

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِيْ لأمٍ رَسُوْلاً ... فَبِئْسَ مَحَلُّ رَاحِلَةِ الغَرِيْبِ
لِضَيْفٍ قَدْ أَلَمَّ بِهَا عِشَاءً ... عَلى الخَسْفِ المُبَيَّنِ والجُدُوبِ

وقد كان من العرب وحتى من الشعراء من وصف بأنه يكره الضيف ويبغضه ولا يود أن يراه مرة أخرى وهو عندهم همٌّ ثقيل وليل طويل لا ينجلي مقامه فيهم ولو كان قصيراً إذا

(٢٢٤) النوادر ص ٧٣.

(٢٢٥) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٢١.

صدقنا حسين بن عرفطة إذ يقول فيمن يصفهم بالبخل ويعيرهم بكراهة الضيف(٢٢٦):

وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَد سَالِخٍ   لَا بَلْ أَحَبُّهُمُ إِلَيْكَ الأَسْوَدُ

وفي مقابل من يوقدون النار على النشز العالي لجلب الضيف يوصف قوم منهم أنهم لا يؤذنون للصلاة خشية أن يسمع الآذان ضيف فيأتي إليهم طالباً القرى فيقول بعض الشعراء في هجاء البخلاء:

تَرَاهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيَافِ خُرْساً   يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ

ويعيب الحطيئة بني بجاد ويعيرهم بحرمان الضيف وأنه لا يحمدهم أحد فيقول فيهم(٢٢٧):

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ فِي القِرَىٰ ضِيفَانَهُ
فَبَنُو بِجَادٍ فِي القِرَىٰ لَمْ يُحْمَدُوا

كل ما سبق نعده هجاء لنماذج الباخلين على الضيف يتخذه الشعراء العرب موضوعاً قد لا يكون فيه من الصواب إلا ما يشفي غضب الشاعر الهجاء وينتقم له ممن استحق هجاءه فيقلب حسنات المهجو إلى قبائح، وفضائله إلى نقص وعيب ويسلط لسانه على أكرم الناس فلا يشفع له فضل ولا يرعى الشاعر فيه ذمة. وقد عرضنا هجاء بشر بن أبي حازم لبني لأم وهو يعني سيدهم أوس بن حارثة الذي وصفه حاتم الطائي أمام النعمان بأنه خير منه وأن له عشرة من الولد أخسهم أفضل من حاتم الطائي نفسه(٢٢٨).

لكننا لا نعدم في الشعر العربي نموذجاً آخر يبغض الضيف ويهجوه ويبخل عليه وهو ليس هجاءً يقلب الواقع ويغير الحقيقة ويشيع حاسة الغضب ضد المهجوين لكنه رأى

(٢٢٦) بهجة المجالس جـ ١، ص ٢٩٩.

(٢٢٧) ديوان الحطيئة ثص ٢٨٩.

(٢٢٨) ديوان حاتم الطائي ص ٥٥.

الشاعر نفسه الذي يعبر به عن ذاته وعن كراهيته للأضياف ولا يخفي بخله عليهم واستثقاله لوجودهم عنده ويود لو لم يرهم بفناء منزله أبداً. وهذا الصنف يناقض ما يدعيه الذين يتحدثون عن إكرام الضيف ويرحبون به ويظهرون في شعرهم أنهم ربيع الأضياف ومأوى الجائعين ويمدحون من أرادا مدحه بالسخاء وإطعام الطعام للغريب والطارق. ويهجون من أرادا هجاءه بعكس ذلك. والالتفات ممكن لاستنطاق بعض الشعراء الذين أعلنوا رأيهم بأنفسهم وهجوا الضيف وأظهروا عدم الرغبة بضيافته عندما تجلبه إليهم الحاجة فلا يجدون بدأً من قراه على مضض وعسر وتذمر منه واستثقال له . وهذه الفئة لا تخفي كرهها للضيف وضيقتها به وتخالف ما يزعم العرب من الظهور بالكرم والجود والتمدح بهما. وقد عرف من الشعراء من كان هجاءً للأضياف يبغضهم ولا يخفي بخله عليهم، ومنهم الحطيئة الذي ينسب إليه أنه يقول للضيف إذا نزل به وطلب القرى: «ما ضمنت لأهلك قراك[٢٢٩] : وكان لا ينزل به ضيف إلا هجاه. من هجائه له قوله[٢٣٠]:

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ فَقُلْتُ مَهْلاً ... كَفَتْكَ المَرَّةُ الأُوْلَى السَّلَامَا
وَنَقْنَقَ بَطْنُهُ وَدَعَا رُؤَاساً ... لِمَا قَدْ نَالَ مِن شِبَعٍ وَنَامَا

وغير الحطيئة كان حميد الأرقط[٢٣١] هجَّاءً للضيوف فحاشاً عليهم نزل به مرة ضيوف فأطعمهم تمراً وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه، وأنهم يسطرون الأخبار ويتحدثون بما لا يود أن يسمع منهم وما فعلوا ذلك إلا توسلاً إلى الطعام وانتظاراً له فقال:

يُسَطِّرُونَ لَنَا الأَخْبَارَ إِذْ نَزَلُوا ... وَكُلُّ مَا سَطَّرُوا لِلَقْمٍ تَمْكِيْنُ
بَاتُوا وَجُلَّتُنَا الصَّهْبَاءُ بَيْنَهُمُ ... كَأَنَّ أَظْفَارَهُمْ فِيْهَا سَكَاكِيْنُ
فَأَصْبَحُوا وَالنَّوَىٰ عَالِي مُعَرَّسِهِم ... وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَىٰ تُلْقِي المَسَاكِيْنُ

---

(٢٢٩) الأغاني جـ ٢ ص ١٤٢.

(٢٣٠) الأغاني جـ ٢ ص ١٤٤.

(٢٣١) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٢٢.

وقد اشتهر بلقب هجاء الأضياف وقال في ضيف له يصف أكله:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُوْلَى إذَا انْحَدَرَتْ
وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيْهَا قَيْدُ اظْفُورِ

وقال في وصف آخر:

تُجَهِّزُ كَفَّاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ   إلى الزَّوْرِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

من الشعراء المشهورين بهجاء الأضياف مزرد بن ضرار، وهو خبيث اللسان حلف ألا ينزل به ضيف إلا هجاه ولا يتنكب بيته إلا هجاه ومن قوله في ضيفه(٢٣٢):

فَقُلْتُ لَهُ مَا تَبْتَغِيْ؟ قَالَ: أَبْتَغِيْ
قَلُوصاً لَنَا وَرْقَاءَ مِنْ نِعَمِ الخُضْرِ
عَجِبْتُ لَهُ إذْ يَتَّقِيْ الكَلْبَ بِالعَصَا
وَلَا يَتَّقِيْ صُمَّ الأَسَاوِدِ إذْ تَسْرِي
وَلَكِنَّهُ نَقَّتْ ضَفَادِعُ بَطْنِهِ
أَنْ أَخْبَرَ أَصْرَاماً بِنَخْلٍ أُولِي تَمْرِ
فَبَانَتْ لَهُ الشِّيْزَى قِيَاماً بِرِزْقِهِ
إلَى أَنْ غَدَا مِنْهُنَّ كَالأَتِنِ القُمْرِ
فَأَطْعَمْتُهُ حتى حَبَتْ حَاوِيَاؤُهُ
كَحَبْوِ الجَوارِي في مَلَاعِبِهَا البُجْرِ

(٢٣٢) ديوان مزرد بن ضرار الغطفاني ص ٤٩.

وانظر أيضاً الديان عن هجائه للأضياف ص ٦٦ وكيف كانت الضيوف تتقي لسانه وتهرب عنه خشية هجائه للضيف.

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَجَهزَ غَادِياً
أَلاَ كُلُّ عَوْفِي يَضَيْفُ وَلاَ يَقْرِي

ومزرد من سادات قمه وأهل الشرف فيهم فلم يمنعه شرفه من إقدامه على كسر الأعراف التي تبجل حق الضيف وخرج على سنن العرب في احترام الضيافة وأعلن في شعره أنه لا يسر بمقدم الضيف ولا يفرح به.

وممن نطق شعره بخواطر بغضه للضيف ووصفه مستثقلاً قدومه إليه متضائقاً من حديثه مسكين الدارمي إذ يقول في ضيفه(٢٣٣):

أَتَى يَخْبُطُ الظَّلْمَاءَ وَاللَّيْلُ دَامِسٌ   يُسَائِلُ عن غَيْرِ الَّذِي هُوَ آمِلُ
فَقُلْتُ لَهَا قُومِي إِلَيْهِ فَيَسِّرِي   طَعَاماً فَإِنَّ الضَّيْفَ لاَ بُدَّ نَازِلُ

وفي أبياته ما ينم عن عدم رغبته بالفضل الذي يدعيه العرب ونضحت معانيه باستثقال الضيف الثرثاء الذي يشغل نفسه والآخرين في أحاديث هامشية غير ذات بال وهو قادم يبحث عن شيء آخر. وحميد الأرقط يأتي بأبيات مشابهة اللغة واللحن والمعنى فيقول في ضيفه غير ما سبق له من شعر(٢٣٤):

أَتَانَا وَمَادَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ
بَيَاناً وَعِلْماً بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ مِنْهُ اللُّقْمُ حتى كَأَنَّهُ
مِن العَيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بَاقِلُ

إن الكلام الكثير الذي يتحدث به الضيف منذ قدم إلى حميد غير ذي موضوع

(٢٣٣) ديوان مسكين ص ٥٧.
(٢٣٤) الأبيات منسوبة لمسكين الدارمي في ديوانه ص ٥٨.

فالمطلوب القرى الطعام وما إزجاء الكلام إلا جزء من التعلة التي لا فائدة منها ولا يستسيغها حميد. وعند مسكين الدارمي نزعة عدوانية ضد الضيف وشعور بالملل منه لا يخفيه في طيات أبياته المتناثرة وفي حنايا شعره ومنها قوله[٢٣٥]:

وَضَيْفٍ يَخُوضُ اللَّيْلَ خَوْضاً كَأَنَّمَا
يَخُوضُ بِهِ حتى تَأَوَّبَنِي بَحْرَا

ومسكين له في قومه نسب ومكانة اجتماعية يجب ألَّا يفرط فيها ولا يعرضها للهجاء والذَّم، ومثله كان مزرد بن ضرار من أعيان قبيلته وأهل الشرف في غطفان وقد هجا الضيف مثل مسكين.

إن الطبيعة الإنسانية مواتية لكل هذه المفارقات وجديرة أن تظهر في مجتمع الجزيرة فئة - نظنها قليلة - يقوى عندها الاهتمام بأمجاد العرب فتحافظ عليها وتضحي في سبيلها بكل غالٍ ورخيص - وفئة كثيرة بل العامة منهم - تقري الضيف بعسر وتقبل إقامته على مضض ولكنها لا تتنكر للعرف الاجتماعي ولا ترفضه لما فيه من إشراق الحياة وما يجلبه من الذكر الحسن المحبب لدى العرب. وفئة ثالثة قليلة كقلة الفئة الأولى تعلن بغضها للضيف وتبخل بخلاً شديداً عليه ويتفلت رأيها فيما روي عنها من شعر كما هو في الأبيات السابقة. وإذا كانت الفئة الأولى تفخر بإقراء الضيف وتمدح به فإن الفئة الثالثة تهجو الضيف وتظهر موقفها في شعرها ويهجوها الشعراء ببخلها عليه وحرمانها إيّاه. وتصبح لغة المادحين للفريق الأول لغة هجّاءة حادة للفريق الثاني .وقد ذكرنا فخر العرب فيما مضى من شعر بأن كلابهم لا تنبح الضيف ولا تهره بل تدله إلى أهلها وتقوده إليهم عندما يسمع الضيف نباحها فيتجه إليهم ويلقونه بالبشر وحسن الاستقبال، أما عند البخلاء فإن الكلب يصبح موضوعاً مقابلاً للأول كما يقول صخر بن أعي الأسدي[٢٣٦]:

---

(٢٣٥) ديوان مسكين الدارمي ص ٤٦.

(٢٣٦) الأغاني جـ ٢ ص ١٤٤.

أَلاَ قَبَّحَ اللَّهُ الحُطَيْئَةَ إنَّهُ
عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهْوَ سَالِحُ
دَفَعْتُ إلَيْهِ وَهْوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ
أَلاَ كُلُّ كَلْبٍ لاَ أَبَالَكَ نَابِحُ
بَكَيْتَ عَلى مَذْقٍ خَبِيْثٍ قَرَيْتَهُ
أَلاَ كُلُّ عَبْسيٍ على الزَّادِ شَائِحُ

وغير الأبيات السابقة أبيات أوردها الجاحظ تصف موقف بعض العرب الذين يشلون الكلاب لتطرد الضيف وتبعده عن ساحة الحي فيقول الشاعر في وصفهم (٢٣٧) :

نَزَلْنَا بِخَلَّادٍ فَأَشْلَى كِلاَبَهُ
عَلَيْنَا فَكِدْنَا عند بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ
تَنَاوَمْتَ نَصْفَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَيْتَنَا
بِقَعْبَيْنِ من ضِيْحٍ مَا كِدْتَ تَفْعَلُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِيْ مُسِرّاً إِلَيْهِمُ
أَذَا اليَوْمُ أَمْ يومُ القِيَامَةِ أَطْوَلُ

وهو ما لم يكن معهوداً من الشعر إلا أنه من الأقرب إلى طبيعة الأشياء ألاَّ يكون العرب جميعهم أهل ضيافةوقرى،وأن العدد القليل هو الذي يحافظ على الضيافة ويطلب الذكر الجميل والسمعة الطيبة حتى لا يشنأ ولا يعاب فضلهم ويشوه تاريخهم .

(٢٣٧) الحيوان جـ ٢ ص ٢١٠ .

الخاتمة

وبعد هذا الاستعراض للشعر الذي ذكر فضل القرى وشرح عادات العرب في قرى الضيف وموقفهم من الكرم والجود وفخرهم الذي يبلغ بهم حداً لا يكاد يصدق على غيرهم على الرغم مما صفت به جزيرتهم من شدة الطبيعة وقلة الزرع وانعدام الأنهار، كما وصفت حياتهم بالفقر والحاجة وضيق ذات اليد حتى إن العطية القليلة والنزر اليسير يكبر ويعظم لموقع الحاجة إليه عند بذله لا بقدر كثرته أو قلته، وقد مدح عويف القوافي، طلحة بن عبد الله بن عوف بشعر لم يترك لغيره فضلاً يصل إليه بعده حتى أغضب ذلك المدح الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد موت طلحة وقال للشاعر عندما قدم لمدحه ما بقيَّت لي بعدما قلت لأخي بني زهرة. . . ألست الذي يقول(٢٣٨).

يَا طَلْحَ أَنْتَ أَخُو النَّدَى وَحَلِيْفُهُ ... إِنَّ النَّدَى من بَعْدِ طَلْحَةَ مَاتَا
إِنَّ الفِعَالَ إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ ... فَبِحَيْثُ بِتَّ من المَنَازِلِ بَاتَا

أو لست الذي يقول:

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا ابْنَ عُوْفٍ
فَلَا مَطَرَتْ على الأَرْضِ السَّمَاءُ
وَلَا سَارَ البَشِيْرُ بِغُنْمِ جَيْشٍ
وَلَا حَمَلَتْ على الطُّهْرِ النِّسَاءُ
تَسَاقَى النَّاسُ بَعْدَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ
ذَرِيْعَ المُوْتِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

(٢٣٨) الأغاني جـ ١٩ ص ١٣٣.

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك أبداً. أخرجوه عني.

فلما سألوه عما أعطاه طلحة حتى استحق كل مدحه قال: أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته لكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكراً ولا أجدر ألا أنساها من عطيته[٢٣٩]. ثم ذكر شيئاً قليلاً من العطاء إلا أنه وافق حاجة وسدّ فاقة فعظم قدره عند الشاعر لموافقته خلة وحاجة فسدهما فكانت قيمة العطية التي لم يجد أحلى منها في قلبه وأنه لا ينساها أبداً، وبهذا يصح أن تكون قيمة الجود والعطاء والكرم بمقدار الحاجة إليه. وقد أشار بشار إلى هذا المعنى فقال:

إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِي القَلِيْلَ وَلَمْ
تَقْدِرْ على سِعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الجُوْدُ
بُثُّ النَّوَالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ
فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْراً فَهْوَ مَحْمُودُ

ومع بذل القليل على الرغم من الحاجة إليه فإن الحياة الاجتماعية كانت تنزع إلى الظهور بمظهر القوة والاستعلاء وحب السيادة، وقد ألمح محمد محمد حسين إلى هذه الخصلة في إرثهم الأدبي فقال: «لم يكن الكرم ممدحاً لأنه من آثار الرحمة والعطف ولكن لأنه مظهر السيادة والتفضل والقوة والاستعلاء، فالكريم هو القوي الذي يجود مما تجدي عليه السيوف والرماح، وهو لا يدخر المال لأنه لا يخشى الفقر ولا يشفق من المستقبل ما دام قادراً أن ينتزع الثروة حيث كانت ظالماً مقتدراً»[٢٤٠]. وإذا كان هذا القول قد استنبط من صورة القوة والاستعلاء كما نص على ذلك الباحث فإن الدافع الأقوى ليس هو القدرة على انتزاع المال لإنفاقه وإنما التجاوب مع النزعات النفسية التي تحبب خصال المروءة وتقرب القادرين على

(٢٣٩) ديوان بشار ص ٢٣٨.

(٢٤٠) الهجاء والهجاؤون ص ٩٨.

البذل إلى نفوس الناس وتحلهم مكانة رفيعة في المجتمع الذي يقدر ما يقومون به ويثمنه لهم. وقد قرب من هذا المعنى الأستاذ محمد الخضري حين قال[٢٤١]: «ومن أخلاقهم المتأصلة فيهم الكرم وقد استنفدوا فيه نصف شعرهم بين ممتدح به ومثن عليه غيره، وكان الواحد منهم يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة ولده فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها فيذبحها لضيفه يخشون مذمات الأحاديث ويقول قائلهم:

وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْماً سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ

إن من لا يملك إلا الناقة الواحدة أو الشاة الواحدة فيقدمها لضيفه طيعة بها نفسه ليس ذاك الذي تجدي عليه الرماح والسيوف ينتزع الثروة بالقوة ظالماً مقتدراً كما في النص السابق، بل إن الخوف من هجاء العرض والطمع بالحمد هو الأقرب إلى تفسير جودهم وإنفاقهم وكرم أخلاقهم. وقد أدرك الأستاذ الحاجري في تقديمه لبخلاء الجاحظ المفارقة التي يفتعلها العربي وميز هذا الإحساس عندما علل قيام الجاحظ برسم صورة البخلاء وزعم أن الأمر قائم على أسمى النزعات الفنية وأجدرها أن ترتفع به فوق جميع تلك الاعتبارات. ذلك هو تصوير تلك الحركات النفسية المختلفة والخلجات الذهنية المتفاوتة في أسلوب فني جميل»[٢٤٢].

وقد أكّد الجاحظ[٢٤٣] أن حياة العرب ليست كلها بؤساً وفقراً وليس الإنفاق عندهم محدوداً قليلاً ثم نفى أن تكون صفاتهم للمآدب والقدور وآلات الطعام متخيلة مفتعلة ولكنهم كما يقول أهل إنفاق لا يعبأون بشيء عندما تخصب أرضهم وتمرع حياتهم: «وهم وإن كانوا ـ يعني العرب ـ في بلادهم جدب فإنهم أحسن الناس حالاً في الخصب، فلا تظنن أن كل ما يصفون به قدورهم وجفانهم وثريدهم وحيسهم باطل. حدثني الأصمعي قال:

(٢٤١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامي جـ ١ ص ٤٠.

(٢٤٢) البخلاء ص ٤٢.

(٢٤٣) البخلاء ص ٢٢٣.

سألت المنتجع بن نبهان عن خصب البادية فقال: ربما رأيت الكلب يتخطى الخلاصة وهي له معرضة شبعاً . أي أن لفحات الفقر وغلبة شظف الحياة عليهم لم يعلمهم البخل أو التقتير على أنفسهم أو في حياتهم وإنما علمهم الإنفاق والبذل فجعلوا أيام الخصب تعبيراً للإنفاق والبذخ وإظهار الترف والبعد عن الإدخار لليالي المظلمة في مستقبل الأيام واتعظوا أشدة العظة فيما يجدون من ألم الجوع عند الحاجة فعلمهم جوعهم قيمة الوجبة ووقعها في نفس المحتاج الجائع حتى أصبح الجود طبيعة جبلت عليها أخلاقهم كما تقول غنية بنت عفيف بن عمرو(٢٤٤) :

لَعَمْرِي لِقِدْماً عَضَّنِي الجُوْعُ عَضَّةً
فَآلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعاً

إن هذا البيت أقرب ما يفسر لنا سبب إنفاق العرب والمبالغة في الكرم والإطعام مع ما نعرف عن بيئتهم وحياتهم من قلة وفقر وحاجة دائمة فلم يمنعهم ما هم فيه من أن يدعوا إلى الجود وأن يفخروا بالكرم ويهجوا بالبخل ويذموا من لم يستطع تجاوز علل النفس وجبلة الإمساك وحب التملك الذي وجد عند الإنسان وكان غريزةً ثابتة في سلوكه، إلا أنك تجد أنهم قد جعلوا امتلاك الفضل والحمد والذكر الحسن مكان امتلاك المال والثروة فيتسامى العربي برغبته إلى الكمال وحب الخلود الدائم والبقاء المستمر. وهذا ما فعلته العرب وفخرت به وبالغت في وصفه حتى عرف عنها وأقرت لها الشعوب والأمم بكرم الضيافة وبذل المال في سبيل امتلاك المجد.

---

(٢٤٤) انظر مقدمة ديوان حاتم الطائي ص ١٠ .

المصادر والمراجع

الأغاني

تأليف : أبي الفرج الأصفهاني

التاريخ : ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨

الطبعة : الرابعة

الأمالي

تأليف : أبي علي القالي

نشر : دار الكتاب العربي ببيروت

الإمتاع والمؤانسة

تأليف : أبي حيان التوحيدي

تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين

الناشر : دار مكتبة الحياة بيروت

أمية بن أبي الصلت حياته وشعره

تحقيق : بهجة عبد الغفور الحديثي

التاريخ : ١٣٧٥هـ

الناشر : وزارة الإعلام بغداد

إكرام الضيف

تأليف : الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي

تحقيق : عبد الغفور سليمان البنداري

التاريخ : ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م

الطبعة : الأولى

الناشر : دارالكتاب العلمية بيروت

البخــلاء

تأليف : أبي عمرو الجاحظ

تحقيق : طه الحاجري

الطبعة : السادسة

الناشر : دار المعارف القاهرة

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

تأليف : محمود شكري الألوسي

تحقيق : محمد بهجة الأثري

الطبعة : الثانية ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤م

بهجة المجالس وأنس الجالس

تأليف : يوسف النمري القرطبي

تحقيق : محمد مرسي الخولي

نشر : دار الكتاب العلمية بيروت ١٩٨١م

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

تأليف : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

التاريخ : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر

الجامع لأحكام القرآن

تأليف : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني

الطبعة : الثالثة

التاريخ : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

نشر : دار الكتاب العربي للطباعة

الحماسة : شرح ديوان الحماسة

تأليف : أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون

التاريخ : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة : الثانية

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

الحياة العربية في الشعر الجاهلي

تأليف : أحمد محمد الحوفي

التاريخ : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

الطبعة : الخامسة

الناشر : دار نهضة مصر

الحيوان

تأليف : أبي عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق : عبد السلام هارون

الناشر : دار إحياء التراث

«ديوان الأفوه الأودي» ضمن مجموعة الطرائف الأدبية

حققه : عبد العزيز الميمني

التاريخ : ١٩٣٧م

الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس

تحقيق : محمد محمد حسين

التاريخ : ١٩٧٤م

الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت

ديوان امرىء القيس

تحقيق : أبو الفضل إبراهيم

الطبعة : الرابعة

الناشر : دار المعارف بمصر

ديوان أوس بن حجر

تحقيق : محمد يوسف نجم

التاريخ : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطبعة : الثالثة

الناشر : دار صادر بيروت

ديوان بشار بن برد

تحقيق : محمد الصادق عفيفي

التاريخ : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الناشر : دار الرائد العربي

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي

تحقيق : عزة حسن

التاريخ : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

الناشر : وزارة القافة والإرشاد القومي - دمشق

ديوان جران العود النميري

تحقيق : أحمد نسيم

التاريخ : ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الكتب العصرية القاهرة

ديوان حسان بن ثابت

تحقيق : سيد حنفي حسنين

التاريخ : ١٩٧٤م

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

ديوان الحطيئة

تحقيق : نعمان أمين طه

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م

الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر

ديوان الخنساء

تحقيق : كرم البستاني

الطبعة : السابعة

التاريخ : ١٩٧٨م

الناشر : دار الأندلس ـ بيروت

الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره

تأليف : أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب

تحقيق : محمد يوسف نجم

التاريخ : ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الناشر : دار صادر بيروت

ديوان الراعي النميري

تحقيق : راينهرت فاييرت

الطبعة : ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م

نشر : دار فرانتس ـ بيروت

ديوان ذي الرمة

تحقيق : عبد القدوس أبو صالح

التاريخ : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

الناشر : مؤسسة الإيمان ـ بيروت

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس

تحقيق : عبد العزيز الميمني

التاريخ : ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة

ديوان سراقة البارقي

تحقيق : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان سلامة بن جندل

تحقيق : فخر الدين قباوة

التاريخ : ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م

الطبعة : الأولى

الناشر : المكتبة العربية ـ حلب

ديوان شعر حاتم الطائي

تحقيق : عادل سليمان جمال

الناشر : مطبعة المدني ـ القاهرة

ديوان الصمة بن عبد الله القشيري

تحقيق : عبد العزيز الفيصل

التاريخ : ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م

ديوان الطفيل الغنوي

تحقيق : محمد عبد القادر أحمد

التاريخ : ١٩٦٨م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الكتاب الجديد

ديوان عامر بن الطفيل

نشر : كرم البستاني

التاريخ : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

ديوان عبيد بن الأبرص

تحقيق : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م

الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر

ديوان شعر عبد الله بن رواحة

تحقيق : وليد قصّاب

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الناشر : دار العلوم

ديوان عروة بن الورد

نشر : كرم البستاني

ديوان عنترة بن شداد

نشر : كرم البستاني

التاريخ : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت

تحقيق : حسن باجودة

نشر : مكتبة دار التراث القاهرة

ديوان كثير عزة

تحقيق : إحسان عباس

التاريخ : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

الناشر : دار الثقافة بيروت

ديوان القطامي

تحقيق : إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب

التاريخ : ١٩٦٠م

الناشر : دار الثقافة - بيروت

ديوان ابن مقبل

تحقيق : عزة حسن

التاريخ : ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م

الناشر : مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم

ديوان مسكين الدارمي

تحقيق : عبد الله الجبوري

التاريخ : ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار البصري

ديوان النابغة الذبياني

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر : دار المعارف بمصر

ديوان الهذليين

تحقيق : أحمد الزين

التاريخ : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري

تحقيق : إحسان عباس

التاريخ : ١٩٦٢م

الناشر : وزارة الإعلام - الكويت

شعر الأخطل

تحقيق : فخر الدين قباوة

التاريخ : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الناشر : دار الآفاق الجديدة - بيروت

شعر شبيب بن البرصاء ضمن شعراء أمويون

جمع وتحقيق : نوري حمّودي القيسي

التاريخ : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار عالم الكتب

شعر السموءل

تحقيق : عيسى سابا

التاريخ : ١٩٥١م

الناشر : مكتبة الصياد - بيروت

شعر المثقب العبدي

تحقيق : محمد حسن آل ياسين

التاريخ : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

وديوان شعر المثقب لعبدي

تحقيق : حسن كامل الصيرفي

نشر : معهد المخطوطات

التاريخ : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

شعر عمر بن لجأ التيمي

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

الناشر : جامعة بغداد

شعر عمرو بن الأهتم

تحقيق : سعود محمود عبد الجبار

التاريخ : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

شعر هدبة بن الخشرم

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٩٧٦م

الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي

قصائد جاهلية نادرة

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

العقد الفريد

تأليف : أبي عمر بن أحمد بن عبد ربه الأندلسي

تحقيق : أحمد أمين وآخرين

التاريخ : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

تأليف : أبي الحسن بن رشيق القيرواني

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

التاريخ : ١٩٧٢م

الطبعة : الرابعة

الكامـل

تأليف : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد

تحقيق : أحمد محمد الدالي

التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

كتاب الكرماء

تأليف : أبي هلال العسكري

تحقيق : محمود محمد شاكر

التاريخ : ١٣٥٣هـ

لسان العرب

تأليف : العلاّمة ابن منظور

إعداد : وتصنيف يوسف خياط

الناشر : دار لسان العرب - بيروت

المحبـــر

تأليف : محمد بن حبيب

تحقيق : ايلزة ليختن شتير

الناشر : دار الآفاق الجديدة

معجم الأمثال

تأليف : أحمد بن محمد النيسابوري الميداني

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

الناشر : دار المعارف بيروت

معجم الشعراء

تأليف : محمد بن عمران المرزباني

تحقيق : كرنكو

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الطبعة : الثانية

الناشر : مكتبة القدس

المحاسن والأضداد

تأليف : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق : عاصم عيتاني

التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة : الأولى

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية

تأليف : محمد الخضري

التاريخ : ١٩٦٩م

الناشر : المكتبة التجارية بمصر

المستطرف في كل فن مستطرف

تأليف : شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي

تحقيق : مفيد محمد قميحة

التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الناشر : دار الكتب العلمية

مغازي الواقدي

تأليف : محمد بن عمر بن واقد

تحقيق : مارسدن جونس

الناشر : عالم الكتب، بيروت

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف : جواد علي

التاريخ : ١٩٨٠م

الطبعة : الثالثة

الناشر : دار العلم للملايين

المقتطف من أزهار الطرف

تأليف : علي بن سعيد الأندلسي

تحقيق : سيد حنفي حسنين

الناشر : الهيئة المصرية للكتاب

المنمق في أخبار قريش

تأليف : محمد بن حبيب البغدادي

تحقيق : خورشيد أحمد فاروق

التاريخ : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة : الأولى

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب

تأليف : ابن سعيد الأندلسي

تحقيق : نصرت عبد الرحمن

التاريخ : ١٩٨٢م

الناشر : مكتبة الأقصى

النوادر في اللغة

تأليف : أبي زيد الأنصاري

تحقيق : محمد عبد القادر أحمد

التاريخ : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الشروق

نهاية الأرب في فنون الأدب

تأليف : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

صدر من هذه الحـوليــات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

١ ــ الجدوز الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
٢ ــ صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا	د. محمد عيسى صالحية
٣ ــ ابن قلاقس، حياته وشعره	د. سهام الفريح
٤ ــ الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحجي
٥ ــ التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية).	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

٦ ــ علي أحمد باكثير	د. محمد عبده
٧ ــ تحليل أخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية).	د. نايف خرما
٨ ــ دولة المماليك ودولة مغول القفجاق	د. حياة ناصر الحجي
٩ ــ المرأة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

١٠ ــ الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	د. فهد الثاقب الثاقب
١١ ــ البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
١٢ ــ عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
١٣ ــ لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكولوجية، مقارنة	د. محمد رجا الدريني
١٤ ــ آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

١٥ ــ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية	د. عبدالعال سالم مكرم
١٦ ــ مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية	د. عزمي موسى إسلام
١٧ ــ العمل الاجتماعي في المجال التربوي	د. جلال الدين الغزاوي
١٨ ــ وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها	د. أبو يعرب المرزوقي
١٩ ــ مفهوم التهكم عند كير كجور	د. إمام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

الحولية الثامنة لعام ١٩٨٧ :

٤٢ ـ وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن (سنة ٩٧٦هـ/ ٦٨ ـ ١٥٦٩م)	د. محمد عيسى صالحية
٤٣ ـ التوجيه والارشاد النفسي للأطفال غير العاديين (دراسة تحليلية)	د. محمد ماهر محمود
٤٤ ـ المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي	د. حسن عبدالحميد عبدالرحمن
٤٥ ـ عبدالله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة	د. عبدالعزيز الهلابي
٤٦ ـ ضمائر الغيبة أصولها وتطورها	د. فوزي حسن الشايب
٤٧ ـ قبيلة إياد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي	د. محمد احسان النص
٤٨ ـ تاريخ العلاقات التجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي في العصري الحديث	د. عبدالملك خلف التميمي

الحولية التاسعة لعام ١٩٨٨ :

٤٩ ـ أضواء على ملكة سبأ	د. محمد ابراهيم مرسي
٥٠ ـ دراسة سوسيولوجية حول ظاهرة الشيخوخة ودور الخدمة الاجتماعية	د. جلال الدين الغزاوي
٥١ ـ هجرة الكفاءات العلمية العربية ودور مجلس التعاون في الافادة منها	د. محمد رشيد الفيل
٥٢ ـ الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند	د. سعد محمد حذيفة الغامدي
٥٣ ـ الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط	د. وسام عبدالعزيز فرج
٥٤ ـ مدن التنمية في فلسطين المحتلة	د. محمد مدحت عبدالجليل
٥٥ ـ الغزو الفرنسي للجزائر في وثيقة أمريكية معاصرة	د. منصور أبو خمسين
٥٦ ـ رحلات جلفر الرحلة إلى ليليبوت	د. محمد رجا الدريني

الحولية العاشرة لعام ١٩٨٩ :

٥٧ ـ التغير الاجتماعي في المدن المنتجة للنفط (مجتمع الكويت)	د. نورة الفلاح
٥٨ ـ حركة مسيلمة الحنفي	د. إحسان صدقي العمد
٥٩ ـ الجاحظ والنقد الأدبي	د. وديعة طه النجم
٦٠ ـ التقليد والتحديث في تعليم اللغات الأجنبية	د. نايف غر خرما
٦١ ـ الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ/ ١٠٣١ ـ ١٠٧٥م)	د. محمود عرفة محمود
٦٢ ـ تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي	د. فوزي حسن الشايب
٦٣ ـ نجاح الشيخ أحمد الجابر في الإفادة من التنافس الإنجليزي الأمريكي بشأن نفط الكويت	د. ميمونة خليفة العذبي الصباح
٦٤ ـ المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء الدراسات والاتجاهات الحديثة (في علم اللغة)	د. مصطفى زكي التوني

٦٥ ــ جغرافية الحضر	د. وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس
الحولية الحادية عشرة لعام ١٩٩٠ :	
٦٦ ــ النظرية الاستبدالية للاستعارة	د. يوسف مسلم أبو العدوس
٦٧ ــ النفط والنمو الحضري بدولة الكويت	د. أمل يوسف العذبي الصباح
٦٨ ــ نظرات في علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوي	د. غازي مختار طليمات
٦٩ ــ الاقطاع في العالم الإسلامي	د. محمود إسماعيل
٧٠ ــ الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي	د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
٧١ ــ الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية (٤٠ ـ ٣٣٩هـ/ ٦٦٠ ـ ٩٥٠م)	د. عبدالرحمن محمد عبدالنبي
٧٢ ــ خبرات الكويت: توزيعها، نشأتها، تصنيفها	د. عبدالحميد أحمد كليو
الحولية الثانية عشرة لعام ١٩٩١ :	
٧٣ ــ بنو سليمان: حكام المخلاف السليماني وعلاقاتهم بجيرانهم	د. أحمد بن عمر الزيلعي
٧٤ ــ نهاية الأرب في شرح لأمية العرب للشنفري بن مالك الازدي	د. عبدالله محمد الغزالي
٧٥ ــ افلاطون . . والمرأة	أ. د. إمام عبدالفتاح إمام
٧٦ ــ الخبز في الحضارة العربية الإسلامية	د. إحسان صدقي العمد
٧٧ ــ الاتجاه نحو الدين	د. نزار مهدي الطائي
٧٨ ــ دوار الشعب لم يعد موجوداً	د. شفيقة بستكي
٧٩ ــ الانثروبولوجيا السياسية	د. سليمان خلف
٨٠ ـ سدوس وتحصيناتها الدفاعية	د. محمد عبد الستار عثمان
الحولية الثالثة عشرة لعام ١٩٩٢ :	
٨١ ـ الغاء الصفة القانونية للرق في سلطنة زنجبار العربية	د. بنيان سعود تركي
٨٢ ـ مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية	د. ميمونة خليفة الصباح
٨٣ ـ جغرافية الحضر عند المدارس الغربية	د. وليد عبدالله عبد العزيز المنيس
٨٤ ـ علل التغير اللغوي	د. مصطفى زكي التوني
٨٥ ـ رحلات جلفر	د. محمد رجا عبدالرحمن الدريني

استمارة تقييم آراء القارىء

عزيزي القاريء

أسرة تحرير الحوليات ترحب بك وتتقدم لك بأطيب التحيات شاكرين لك سلفا تعاونك من أجل تطوير هذه الحوليات وذلك من خلال اجابتك عن هذه الاسئلة : -

- عمر القاريء: - ٢٠ ☐ ٢٠ - ٣٥ ☐ ٣٦ - ٤٥ ☐ ٤٥ + ☐
- الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐
- بلد الاقامة : الكويت ☐ خارج الكويت ☐
- التعليم : ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراة ☐
- طبيعة المهنة : اداري ☐ أكاديمي ☐ مهني ☐ أخرى ☐
- مواضيعك المفضلة : لغوية ☐ اجتماعية ☐ تاريخية ☐ ادبية ☐ متنوعة ☐

١ - كيف تحصل على الحوليات؟

شراء ☐ اشتراك ☐ استعارة ☐

٢ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟

نعم ☐ لا ☐

٣ - ما رأيك بحجم الحوليات؟

مناسب ☐ كبير ☐ صغير ☐

٤ - كيف ترى مواضيع الحوليات؟

متنوعة ☐ غير متنوعة ☐

٥ - ما هو الطابع العام للحوليات؟

لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐

٦ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟

نعم ☐ لا ☐ احيانا ☐

٧ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟

نعم ☐ لا ☐

٨ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟

نعم ☐ لا ☐

٩ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

١٠ - شعار الحوليات على الغلاف هل يتناسب وطبيعة الحوليات؟

نعم ☐ لا ☐

١١ - ما مقياسك لنوع طباعة الحوليات؟

جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف ☐

١٢ - ما رأيك بسعر الحوليات؟

مرتفع ☐ قليل ☐ مناسب ☐

١٣ - اقتراحات ترى أنها تساعد على تطوير الحوليات وخدماتها للقارىء؟

....

....

....

....

قسم الاشتراكات

حوليات كلية الآداب

ص.ب : ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي

BY AIR MAIL

PAR AVION

قسيمة اشتراك

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة

☐ سنة واحدة ☐ سنتان ☐ ثلاث سنوات ☐ اربع سنوات

بعدد (   ) نسخة

أرفق طية قيمة الاشتراك .... نقدا / شيك

☐ رجاء الاشعار بالاستلام و / أو ☐ ارسال الفاتورة

الاسم : ....

المهنة / الوظيفة : ....

العنوان : ....

....

....

التاريخ / / التوقيع

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن
جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. ميمونة خليفة العذبي الصباح

* مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة.
بالاضافة الى اصدارات خاصة في المناسبات.
* تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية.
* صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥.
* تقوم المجلة باصدار ما ياتي :
ا) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية.
ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.
جـ) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية.
* عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب.
* يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم.

* الاشتراك السنوي بالمجلة

ا) داخل الكويت: ٢ د.ك. للافراد ـ ١٢ د.ك. للمؤسسات.
ب) الدول العربية: ٥٠٠ر٢ للافراد، ٠ر١٢ د.ك. للمؤسسات.
جـ) الدول الاجنبية: ١٥ دولارا للافراد ٤٠ دولارا للمؤسسات.

المقر: جامعة الكويت ـ الشويخ
هاتف: ٤٨١٦٨٠٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٢٤
٤٨١٤٢٩٥

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتـي :
ص.ب: ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

● تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير.

● تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات.

● صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١.

● تصل إلى أيدي مايزيد على عشرة آلاف قارىء.

فصْلية : محكّمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيسة التحرير

أ. د. حياة ناصر الحجي

المقر: كلية الآداب - مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ - هاتف : ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣
فاكس : ٤٨١٢٥١٤

المراسلات توجه الى رئيس التحرير:

ص.ب. ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

الاشتراكات

* في الكويت : ٣ دنانير للأفراد خصم ٥٠٪ للطلاب، ١٤ دينارا للمؤسسات.

* في البلاد العربية : ٤,٥ دينار كويتي للأفراد، ١٦ دينارا للمؤسسات.

* في الدول الأجنبية : ٢٠ دولارا للأفراد، ٦٠ دولارا للمؤسسات.

المجلة التربوية

تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت
مجلة فصلية، تخصصية، محكمة

رئيس هيئة التحرير
د. عبد المحسن حمادة

تنشر البحوث التربوية، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة
ومحاضر الحوار التربوي، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

* تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية

* تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية .

الاشتراكات :

للأفراد في الكويت	٢ د.ك	وللطلاب	١ د.ك
للأفراد في الوطن العربي	٢,٥ د.ك	وللطلاب	١,٥ د.ك
للأفراد في الدول الأخرى	١٥ دولاراً أمريكياً بالبريد الجوي		
للهيئات والمؤسسات	١٢ د.ك وفي الخارج ٤٠ دولاراً أمريكاً.		

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الرمز البريدي 71953 الكويت.
هاتف : ٤٨٣٠٢٦٨

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية محكَّمة تعنى بنشر الأبحاث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور مبارك عبدالعزيز النويبت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت : ديناران للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول العربية : ثلاثة دنانير للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ثلاثة دنانير ونصف للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت
ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت
تلفون : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٢٢٢ - فاكس : ٤٨٣٥٧٨٩

المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

* تقبل المجلة الأبحاث الاصيله والمبتكرة فى نطاق العلوم الادارية الأساسية والمجالات الأخرى ذات الصلة وذلك بما يعود بالنفع على الباحثين والممارسين فى مجال الادارة ، التمويل والاستثمار ، التسويق ، نظم المعلومات الادارية ، الاساليب الكمية فى الادارة ، الادارة الصناعية ، الادارة العامة ، المحاسبة ، الاقتصاد الادارى ، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية.

* تخضع كافة الأبحاث المنشورة للتحكيم من قبل هيئة تحرير المجلة وإثنين أو اكثر من المتخصصين من ذوى الخبرة البحثية والمكانة العلمية المتميزة. وفى جميع الأحوال يتم التحكيم بشكل سرى ، الأمر الذى يتطلب من الباحثين عدم إظهار ما يشير الى هويتهم فى صلب البحث.

* تشمل المجلة الأبواب التالية:
  - الأبحاث .
  - التقارير العلمية التقييمية .
  - ملخصات الرسائل الجامعية .
  - الندوات والمؤتمرات .
  - الحالات العملية .

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالى:

المجلة العربية للعلوم الادارية - جامعة الكويت ص.ب ٢٨٥٥٨ الصفاة

هاتف / فاكس : ٢٥٢٨١٢١ [٩٦٥]

Discipline of Hospitality in Ancient Arab Poetry

Abstract

In this paper an attempt is made to study the views of the Arabs, which has acquired hospitality a permanent tardition and has become a part of their heritage. The study is based on the traditional facts and narrations mentioned in the Arabic poetry. The Arabs always welcome and entertain quests to their best with food, drink and shelter.

The paper also discusses the literary language of the poets. Their hardship which they faced while travelling in a hot desert until they could find a suitable generous host. Under these circumstances, relieved and satisfied the poets have narrated praise in favour of the host and have left a record of Arabs traditions and cultural heritage.

The study further analyses the verses which reveal the development of this tradition and the factors that contributed to its growth.

The Author:

— Marzouq Ben Sneitan ben Tunbak (Ph.D)
— Co-Professor, Arabic Department - Faculty of Arts, King Saud University, S.A.

Scientific Publication

Books

1. Al-Fusha Wa Nazariyet al Fikr al al-^{c}Ammī Farzdag Press 1407.
2. Al-Ghäyur Wal-Saboor Dar^{c}iya Press 1411 A.H.
3. Al-Jiwar ^{c}ind-Al-Arab Dar-al Ma^{c}arif Cairo 1412 A.H.
4. Rasail ila-Watan Dar-al-Ma^{c}rif - Cairo 1412 A.H.

Researches Published In Refered Journals and Plance of Publication:

1. Al-Adab al-^{c}Ammi Wa Mahawir el ihtimam bihi. al-Dara Journal 1407.
2. Al-Tasamuh Fi al-Ghira Fi-al-Shir Miskin al Danmi. Al-Dara Journal 1407.
3. ^{c}Agil ibn ^{c}Ullufah Hayatoho Wa Shi^{c}ruh al-Imam University.
4. Al-Jarah Fi-al Shir al-^{c}Arabi K.S. University Journal 1411 A.H.

Research Accepted For Publication:

1. Al-Motanabbi wa la-Nuggad wal-Tewheed, Faculty of Humanities Journal (Qatar) 2.
2. Al-Sir Kama Sawwaraho al Shi^{c}r. Imam Mohammed ibn Saud Islamic University Journal.
3. Hogog al-asdiga' fi Nazar al-Sho^{c}ara, Faculty of Arts, Journal University of Cairo.
4. Al-Zajer Fi Wegdam al-Sho^{c}ara, Faculty of Arts, Journal of Ain Shams University.
5. Al-intima' Fi al-Shi^{c}r al-^{c}Arabi. Faculty of Arts, Journal of Alexanderia University.

Eighty-Sixth Monograph

Discipline of Hospitality in Ancient Arab Poetry

Dr. Marzouk Ben Senitan Ben Tunbak (Ph.D)
Faculty of Arts, King Saud University

Annals of the Faculty of Arts
Volume XIII, 1993